

Looloo
www.helmelarab.net

١ ـ السـفير ..

عبرت سيارة صغيرة ، مصرية الصنع ، بوابة مبنى المخابرات العامة المصرية ، فى الصباح الباكر ، بعد أن تخطت حاجز الأمن ، وتجاوزت الفناء الواسع ، قبل أن تتوقف فى المكان المخصص لها ، وسط عدد من السيارات الكبيرة ، وغادرتها فتاة هادئة رقيقة ، جميلة الملامح ، ألقت التحية على رجال الأمن الداخلى ثم اتجهت فى خطوات رصينة واثقة إلى الجناح الأيسر من المبنى ، واختفت داخله فى خفة ، فالتفت أحد رجال الأمن إلى زميله ، وسأله فى اهتمام :

ـ أليست هذه (منى توفيق) .. أقصد الرائد (منى توفيق) ، التى يروى الجميع قصتها هنا ، مع ذلك الأسطورى الراحل (أدهم صبرى) ؟

أومأ زميله برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إنها هى ، ولكنها تختلف كثيرًا عما كانت عليه فى السابق .

سأله الأول :

ـ أتقصد أيام كانت تعمل مع (أدهم صبرى) ؟

هزّ الثانى رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ بل أقصد مابعد هذا ، فقد أصابها انهيار تام بعد مصرعه

فى (المكسيك) ، وظلت منهارة لما يزيد على عام ونصف العام ، ثم تحسنت أحوالها بغتة ، بعد أن سافرت فى مهمة خاصة ، مع شاب جديد ، يقولون إنه خليفة (أدهم) الأسطورى هذا .

مط الأول شفتيه ، وقال :

ـ يا للنساء !.. إنهن سريعات النسيان .

هز الثانى كتفيه ، وقال :

ـ كلهن كذلك يا صديقى .

عادا يواصلان عملهما فى لامبالاة ، دون أن يدرك أحدهما أن (منى) كانت تستعيد ، فى اللحظة ذاتها ، فيضًا من ذكرياتها العديدة مع ذلك الأسطورى ، الذى يتحدثان عنه ..

مع (أدهم صبرى) ..

كانت تشعر باشتياق بالغ إليه ، على الرغم من أنه لم يمض شهر واحد بعد ، منذ التقت به فى (نيويورك) ، عندما أنقذها من سجنها ، وقاتل من أجل وطنه ، دون أن يعلن عن وجوده ، أو بقائه على قيد الحياة(*) ..

ومنذ أعلن استمرار حبه لها ..

نعم .. كل خطوة خطاها ، وكل خطر واجهه كان من أجلها ..

هو أخبرها هذا ..

وكذلك قلبها ..

(*) راجع قصة (خط المواجهة) .. المغامرة رقم (٨٧) .

لقد ترك زوجته وابنه من أجلها ..

قاتل الدنيا من أجل عينيها ..

وما الذى تطلبه المرأة أعظم من هذا ؟..

وانطلقت من أعمق أعماقها زفرة حارة ، تمنت لو أنها التهبت باسمه ، وهى تعبر شفتيها وتكوى قلبها ..

وفى اللحظة ذاتها مس قلبها تيار حزين ، وكأنما أبى عقلها أن ينعم قلبها بلحظة من لحظات الحب والسعادة ، دون أن يعكر صفوها بلمحة من الحقيقة المرة ..

حقيقة أن (أدهم) لم يعد لها ..

صحيح أنه لم يحب سواها ، كما تثق تمامًا ، إلا أنه صار زوجًا لأفعى الموساد القاتلة (سونيا جراهام) ..

وليس هذا فحسب ، وإنما أنجبت له (سونيا) ابنه الوحيد ..

ابنه الذى لم تعرف حتى اسمه ..

ذلك الابن الذى انتزعه من عالمها ، وألقاه فى عالم آخر من المرارة والعذاب ..

« فيمن تفكرين ؟.. » .

انتزعها السؤال من شرودها وذكرياتها ، فالتفتت إلى صاحبه فى حركة حادة سريعة ، وهتفت :

ـ (حسام) .. أهو أنت ؟!

رفع يده بالتحية العسكرية فى مرح ، وهو يقول :

- الرائد (حسام حمدى شاكر) فى خدمتك ياسيادة الرائد .

ثم مال نحوها ، مستطردا فى خفة ظل واضحة :

- الأصدقاء يحترمون لقب أسرتى ، ويخاطبوننى باسم (حسام شاكر) ، أما زملاء العمل الرسمى ، فيفضلون (حسام حمدى) .. أى اسم منهما تفضلين؟

ابتسمت قائلة :

- (حسام) فحسب .

صفق بكفيه هاتفًا :

- رائع .

ثم همس فى هيام مرح :

- هذا مايخاطبنى به المحبون .

أشاحت بوجهها ، قائلة فى ضيق :

- ألن تكف عن هذا العبث؟

تراجع هاتفًا :

- ومن قال إنه عبث .

ثم تنهد فى عمق ، وتلاشى المرح من وجهه وصوته ، وهو يستطرد :

- أراهن أنك كنت تفكرين فيه .. أليس كذلك؟

غمغمت فى خجل :

- فيمن؟

ابتسم قائلا فى شىء من الحزن :

- فى (أدهم صبرى) بالطبع .. من سواه يحتل قلبك وأفكارك؟!

لم تنبس ببنت شفة ، فاستطرد فى أسى :

- إننى أحسده فى الواقع .

لم تحاول التعليق على عبارته ، وإنما أدارت دفة الحديث بعيدًا ، وهى تسأله :

- كيف حال إصاباتك؟ .. هل شفيت تمامًا؟

أدرك ما تحاول أن تفعله ، ولكنه لم يعترض ، وإنما أجاب فى سرعة :

- كنت أتصور هذا ، ولكن يبدو أن المدير لايعترف بذلك ، فهو يطلب رؤيتك وحدك .

ارتفع حاجباها ، وهى تقول فى دهشة :

- وحدى؟!

أجاب بنفس السرعة :

- نعم .. هناك مهمة جديدة على الأرجح ، فلقد طلب رؤيتك فور وصولك .

شعرت بالقلق لهذا المطلب؛ فلم يحدث أبدا ، منذ عملت بالمخابرات العامة ، أن أسند إليها المدير عملا منفردا ، باستثناء تلك المرة ، التى تصورت فيها أنها تعمل وحدها ، ولكن (أدهم) كان يعمل معها سرًا[*] ..

وفى توتر واضح ، قالت لـ(حسام) :

- حسنا .. أظننى سأذهب على الفور .

(*) راجع قصة (الهدف القاتل) .. المغامرة رقم (٤٢) .

تركها تتصرف دون تعليق ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة حزينة ، وهو يقول :

ـ أعلم أنه مامن أمل ، مادمت أنت تملأ قلبها يا (رجل المستحيل) .. مامن أمل .

أما (منى) ، فقد قطعت الممر الطويل إلى حجرة المدير ، والقلق يملأ نفسها ، حتى استقبلها المدير بابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـ مرحبا أيتها الرائد .. تفضلى بالجلوس .

جلست على المقعد المقابل لمكتبه ، وهى تتطلع إليه فى فضول واهتمام ، مما جعله يستطرد على الفور ، وهو يدفع أمامها عددا من الصور الفوتوجرافية الحديثة :

ـ هل تعرفين هذا الرجل أيتها الرائد ؟

طالعت (منى) الصور فى اهتمام ، وقالت :

ـ بالتأكيد .. إنه (ميخائيل ليفى) . ضابط (الموساد) الإرهابى الأشهر ، الذى يطلقون عليه اسم (السفاح) ، لميله الشديد إلى القتل وإراقة الدماء .

أومأ المدير رأسه إيجابًا ، وقال فى أسف :

ـ هذا (السفاح) أصبح سفيرًا أيتها الرائد .

لم تدل بأى تعليق ، وإنما تطلعت إليه في ترقب وفضول ، فنهض من خلف مكتبه ، وراح يتحرك فى حجرته معقود الكفين خلف ظهره ، وهو يقول :

ـ على الرغم مما يثيره عالمنا من رهبة وغموض ، فى أسماع ونفوس العامة ، إلا أنه كغيره من المهن ، يخضع لبعض القواعد والقوانين ، التى يتحتم وجودها ، للحفاظ على علاقة الدول بعضها بالبعض ، وعدم إفساد القواعد الدبلوماسية المتعارف عليها ، ومن هذه القواعد أن يكون سفير أية دولة (عادة) رجلًا محايدًا ، بالنسبة لأعمال المخابرات والجاسوسية ، فى حين يكون الملحق العسكرى ، أو الثقافى ، أو التجارى ، هو المسئول عن هذه الأعمال ، وتنسيقها وإدارتها ، فى الدولة المضيفة ، على نحو غير رسمى بالطبع .

وتوقف بغتة ، والتفت إليها مستطردًا فى حنق :

ـ ولكن (الموساد) ودولته خالفا القواعد كالمعتاد .

كان فضولها فى ذروته ، إلا أنها سألته فى اقتضاب شديد :

ـ كيف ؟

بدا السخط على وجهه ، وهو يقول :

ـ (ميخائيل ليفى) أصبح سفيرًا لبلاده فى (البرازيل) ، بقرار رسمى علنى ، ومديرًا لمكتب (الموساد) هناك ، على نحو رسمى ، ومنذ تسلم منصبيه .. الرسمى والسرى ، وهو يبذل قصارى جهده لتحطيم كل أعمالنا فى (أمريكا الجنوبية) كلها ، وتدمير مكتبنا تدميرًا شاملًا ، بحيث يتسيد (الموساد) الموقف كله هناك ، وهو فى هذا يستغل منصبه الرسمى وحصانته الدبلوماسية ، على نحو وقح صفيق ، يسبب لنا أضرارًا فادحة بحق .

سألته فى اهتمام :

ـ وما المطلوب منى بشأنه؟

قال فى حزم :

ـ تقليم أظفاره ، وتحطيم أنفه ، وتلقينه درسا قاسيا ، يمنعه من التدخل فى شئوننا مرة أخرى .

التقى حاجباها ، وهى تقول :

ـ وهل أفعل هذا وحدى ياسيدى؟

تطلع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ـ ألست تنتمين إلى المخابرات المصرية؟

أجابته :

ـ بلى ، ولكن هذه المهمة بالغة الخطورة بالفعل ، فما أن أضع قدمىّ على أرض (البرازيل) ، حتى يكون علىّ أن أواجه (ميخائيل ليفى) ، ومن خلفه كل أعضاء مكتب (الموساد) فى (البرازيل) ، وربما فى (أمريكا الجنوبية) كلها ، وهذا العمل يحتاج إلى فريق كامل من رجالنا ، أو إلى ..

كادت تنطق اسم (أدهم) ، لولا أن أمسكت لسانها فى اللحظة الأخيرة ، ثم تابعت فى سرعة ، محاولة تغطية الموقف :

ـ أو إلى قاتل محترف .

أقلقتها تلك الابتسامة الخبيثة ، التى ارتسمت على شفتى المدير ، وهو يقول :

ـ بالطبع .. هذا العمل يحتاج إلى شخص له مواصفات خاصة للغاية ، ولكننى أثق بك ، وبقدرتك على أداء العمل .

هتفت :

ـ وحدى؟

هزّ كتفيه ، قائلا :

ـ ولماذا تتصورين أنك ستظلين وحدك حتى النهاية؟ .. أحيانا ، وعندما تتعقد بنا الأمور ، وتضيق حولنا الحلقات ، يظهر فجأة صديق قديم ، و..

أدركت مايرمى إليه ..

إنه واثق من أن (أدهم) على قيد الحياة ..

وواثق من أنها ستطلب معاونته ..

وفى أعماقها تفجر غضب مكتوم ..

إذن فهو لم يكن يثق بقدراتها ..

إنه يسعى لدفع (أدهم) إلى القيام بالعمل عن طريقها .

وأحنقها الأمر بشدة ، فقاطعته فى حزم :

ـ إننى أقبل المهمة ياسيدى .

تطلع إليها لحظة ، ثم قال فى هدوء :

ـ عظيم .. ستجدين جواز سفر دبلوماسيا ، فى مكتبك ، مع تذكرة سفر إلى (برازيليا) ، على طائرة (مصر للطيران) ، التى تقلع فجر الغد ، وهذا يعنى أنه أمامك اليوم كله لدراسة الموقف ، ومراجعة الخطة ، التى وضعها قسم العمليات الخارجية .

نهضت قائلة فى حزم :

- فليكن ياسيدى ، وثق أننى سأبذل قصارى جهدى لتنجح المهمة ، وسأقوم بها وحدى .

ومالت نحوه مكررة :

- وحدى ياسيدى .

تابعها المدير ببصره ، وهى تغادر حجرته فى اعتداد ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- ومن قال غير هذا أيتها الرائد؟

ثم التقط سماعة هاتفه الخاص ، وأدار رقمًا داخليًا صغيرًا ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى قال :

- صباح الخير يا (قدرى) .. احضر إلى مكتبى الآن ، فأنا أحتاج إليك لعمل هام .

وعندما أنهى هذه المحادثة القصيرة ، كانت ابتسامته قد ازدادت دهاء ..

وغموضًا .

* * *



٢ - والخطر ..

هرع خدم ذلك القصر الأنيق ، فى (كيواوا) المكسيكية ، إلى مهبط الطائرات الخاص ، الذى يحتل مساحة ضخمة ، من المزرعة المترامية الأطراف ، لاستقبال سيدهم الوسيم ، الممشوق القوام ، الذى غادر طائرته الخاصة ، ووجهه يحمل مزيجًا من الحزن والألم والإرهاق ، وأسرع خادمه الخاص (بيزو) يحمل حقيبته عنه ، وهو يقول فى حرارة :

- مرحبًا بك فى قصرك ياسنيور (أميجو) .. كيف كانت رحلتك؟.. إننا نتلهف لمعرفة الأخبار ، منذ شهر كامل .

تمتم السنيور (أميجو صاندو) ، وكأنه لايرغب فى التحدث طويلًا :

- فيما بعد يا (بيزو) .. فيما بعد .

لم يلق الخادم سؤاله مرة أخرى ، إذ كان يدرك جيدًا أن سيده لم يعتد إطلاق الكلمات جزافًا ، وأنه مادام لايرغب فى الحديث الآن ، فلا ريب أن أية قوة فى الأرض لن يمكنها إقناعه بتغيير رأيه ..

وفى صمت ، صحب سيده إلى حجرته الخاصة ، ووضع حقيبته إلى جوار الدولاب ، وهو يسأله فى خفوت :

- هل أعد لك حمامًا دافئًا؟

أومأ سيده برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لا بأس .

اكتفى (بيزو) بهذا القول المقتضب ، وأسرع لتنفيذ الأمر ، فى حين جلس سيده على مقعد وثير ، أمام نافذة الحجرة مباشرة ، واسترخى فيه وهو يطلق تنهيدة حارة ، ويتطلع فى شرود إلى المزروعات الممتدة إلى مدى البصر ، مطلقًا لأفكاره العنان ..

لم يكن هذا السيد سوى (أدهم صبرى) ، الذى فقد ذاكرته يومًا فى صحراء (المكسيك) ، واستعادها ليجد نفسه زوجًا لغريمته اللدود (سونيا جراهام) ، وأبًا لابنه الذى ينمو فى رحمها(*) ..

وكانت صدمة هائلة له ..

صدمة حطمت الكثير من أعماقه ، قبل أن تأتيه الصدمة الثانية كالصاعقة ..

لقد هربت (سونيا) مع ابنه(**) ..

هربت واختفت تمامًا ، وكأنما انشقت الأرض وابتلعتها ، أو تلاشت كسحابة من البخار ، فى يوم حار ..

ولقد قلب (أوروبا) كلها بحثًا عنها ، دون جدوى ..

(*) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم (٨١) .

(**) راجع قصة (خط المواجهة) .. المغامرة رقم (٨٧) .

شهر كامل ، وهو يجوب قارة بأكملها ، بحثًا عن أدنى أثر لها ، دون أن يحقق نجاحًا واحدًا ..

كل ما توصل إليه ، هو أنها قد أقلعت بطائرة خاصة من (المكسيك) إلى (باريس) ، وهناك تلاشى كل أثر لـ(نورما كرينهال) ، وهو الاسم الذى ظلت تحمله ، منذ لفظهـا (الموساد) من بين صفوفه ، وتحولت إلى سيدة أعمال بالغة الثراء ..

شهر كامل عجز فيه عن استعادة ابنه من بين أيديها ..

وياله من شهر!..

إنها أول مرة فى حياته كلها ، يشعر فيها بمثل هذا الحزن ، ومثل تلك المرارة ..

مرارة أن تفقد ابنًا .

ولكنه لن يستسلم لتلك الأفعى اللعينة .

سيواصل البحث ..

ولن يهدأ أبدًا ..

إنها لم تذهب حتمًا إلى الأرض المحتلة ، فهى ليست بهذا الغباء ، إذ إنه سيكون أول مكان يسعى للبحث عنها فيه ، كما أنها لن تنعم بملايينها وثروتها ، فى بلد كهذا .

إنها حتمًا فى (أوروبا) ..

أو فى (أمريكا) ..

ولكن أين ؟

أين؟

أطلق من أعماقه زفرة حارة أخرى ، وقفز ذهنه بغتة إلى المخلوقة الوحيدة التى ملأ حبها قلبه ، وملك نفسه حتى النخاع .

إلى (منى) ..

كم تمنى لحظتها لو أنها أمامه ..

كم تمنى لو احتواها بين ذراعيه ، وأفرغ عندها مرارته وأحزانه ..

ولكن هذا بدا له مطلبًا مُغرقًا فى الأنانية ..

كيف يمنحها أحزانه ، وهى التى منحته قلبها كله؟

وللمرة الثالثة ، أطلق صدره زفرة حارة ، والتفت أفكاره كلها حول صورة جميلة ، رسمها خياله لـ(منى) ، التى لم يكن يدرك أنها ـ وفى هذه اللحظة بالذات ـ كانت تستعد لمواجهة أخطر رجل بين صفوف (الموساد) ، وأكثرهم وحشية وشراسة ..

كانت تستعد لمواجهة (ميخائيل ليفى) ..

السفاح ..

* * *

اعترفت (منى) ، بينها وبين نفسها ، أنها تشعر بخوف لاحدود له ، وهى تغادر مطار (برازيليا) ، لتبدأ هذه المهمة البالغة الخطورة ، وأحكمت وضع منظارها الداكن فوق عينيها ، وتركت الرياح تعبث بشعرها الأشقر المصبوغ ، وهى تدفع أمامها عربة معدنية صغيرة ، تحوى كل حقائبها ، وتشير بيدها الأخرى إلى واحدة من سيارات الأجرة الصفراء ، ذات الطابع المميز ..

وتوقفت أمامها سيارة أجرة عتيقة الطراز ، وخلع سائقها قبعته المصنوعة من القش ، وهو يهتف بالإنجليزية :

ـ سنيوريتا .. إننى أنحنى لجمالك الفاتن ، وأدعوك لركوب سيارتى المتواضعة ، التى تفوق سيارات السباق الحديثة ، و ..

قاطعته فى ضجر :

ـ أيمكنك أن تحملنى إلى فندق (بلازا) ؟

أطلق من بين شفتيه صفيرًا طويلاً ، وهو يقول :

ـ (بلازا) ؟!.. إنه فندق باهظ ياسنيوريتا ، وهم يسرقون النزلاء هناك ، ولكننى أعرف عددًا من الفنادق الأنيقة الرخيصة ، و ..

قاطعته مرة أخرى فى حدة :

ـ هل يمكنك أن تحملنى إلى هناك ، أم أبحث عن سيارة أخرى ؟

ألقى نظرة على حقائبها الخمس ، قبل أن يقول بابتسامة عريضة :

ـ إنه لمن دواعى الشرف أن أنقلك إلى هناك ياسنيوريتا .

جلست على المقعد الخلفى للسيارة ، وتركته ينقل حقائبها إلى شبكة تعلو سيارته ، ثم انطلق بها عبر طرقات (برازيليا) ، وهو يثرثر طوال الوقت ، فى حين صمّت هى أذنيها عن حديثه ، واسترخت فى مقعدها ، وراحت تسترجع كل ما حصلت عليه من معلومات ، ومن تفاصيل الخطة ، التى وضعها قسم العمليات الخارجية ..

إنها ستلتقط (ميخائيل ليفى) من نقطة الضعف الوحيدة ، التى عثر عليها خبراء المخابرات المصرية ..

من هوايته الأثيرة ..

و (ميخائيل ليفى) غارق حتى أذنيه فى نفس الهواية ، التى يعشقها كل بنى جنسه ..

هواية جمع الأموال ..

ولكن الأموال التى يهوى (ميخائيل) جمعها من نوع خاص ، فهو يهوى جمع العملات الأثرية القديمة ، ويسعى للبحث عنها فى العالم أجمع ، حتى أن كل تاجر أثريات فى نصف الدنيا يعرفه شخصيًا ، وإن كان الجميع - تقريبًا - يجهلون طبيعة عمله الحقيقية ..

ومن هذه الهواية ، ستنقضُّ هى عليه ، و ...

انتبهت فجأة من أفكارها ، عندما لاحظت أن السيارة تسير فى طرقات جانبية ضيقة ، فاعتدلت فى مقعدها ، وسألت السائق فى خشونة :

- إلى أين تذهب ؟

لوّح بكفه فى مرح مبالغ ، وهو يقول :

- لاتقلقى ياسنيوريتا .. إنه طريق مختصر فحسب .

قالت فى صرامة :

- لست أحب الطرق المختصرة .. عد بنا إلى الطريق الرئيسى .

مط شفتيه ، وهو يقول معترضًا :

- ولكن هذا الطريق يدخر الوقت والمال ، والـ...

قاطعته فى غضب :

- قلت لك عد إلى الطريق الرئيسى .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة ساخرة ، وهو يقول :

- لابأس ياسنيوريتا .. لابأس .. سينتهى الأمر بعد لحظات .

ثم انحرف فى طريق جانبى مسدود ، وضغط فرامل سيارته ، قائلاً :

- لقد وصلنا .

لم يكد ينطق كلمته ، حتى برز شابان مفتولا العضلات ، من مدخل منزل قديم ، وكل منهما يحمل مدية ذات نصل حاد طويل ، فى حين استلّ السائق مدية مماثلة ، رفعها فى وجهها ، وهو يقول :

- معذرة ياسنيوريتا ، ولكننا نشفق على الجميلات أمثالك ، من حمل الأمتعة الثقيلة والنقود الكثيرة ، ولذلك فنحن سنخلصك من متاعك كلها هنا ، وسنحمل عنك المتاع والنقود .

تطلعت إلى نصل مديته فى برود ، وهى تقول :

- عد بنا إلى الطريق الرئيسى .

قهقه ساخرًا ، وهو يقول :

- يبدو أنك لم تفهمى جيدًا ياسيدتى .. إننا لصوص .. هل تدركين مايعنيه هذا ؟

أدهشه أن ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة ، وهى تقول :

ـ حقًا .. يسعدنى أن أوضحت .

قبل أن يدرك الرجل ما تعنيه هذه الابتسامة الساخرة ، كانت (منى) قد تحرّكت فى خفة رائعة ، وأمسكت معصمه بيسراها ، وأبعدت المدية عن وجهها ، ثم هوت بيمناها على أنفه كالقنبلة ..

وتفجّرت الدماء من أنف السائق ، وهو يصرخ :

ـ أيتها اللعينة .. أيتها الـ..

أخرسته (منى) بلكمة أخرى فى فكه ، انكسرت لها واحدة من أسنانه الأمامية ، وغامت بها الدنيا أمام عينيه ، فاندفع الشابان نحو السيارة ، وهما يطلقان زمجرة غاضبة ، ولكن (منى) دفعت باب السيارة فى وجه أولهما ، ثم قفزت إلى الخارج ، وركلت المدية من يد الثانى ، ودارت على قدمها اليسرى فى سرعة ورشاقة ، لتحطم أنفه بكعب حذائها المعدنى الأيمن ، قبل أن تثب فى براعة ، وتهوى بقدمها اليسرى على فك الأول ، وتلقيه أرضًا ..

وفى هدوء مخيف ، اتجهت مرة أخرى نحو السائق ، وقالت وهى تعود إلى مقعدها :

ـ والآن عد بنا إلى الطريق الرئيسى .

ارتجف فى هلع ، وهو يدير محرك السيارة ، وينطلق بها

عائدًا إلى الطريق الرئيسى ، فى حين تفجّرت ذكرياتها مرة أخرى ، وهى تراقبه فى صرامة ..

من المؤكد أنها قد تغيّرت كثيرًا ، فى الآونة الأخيرة ، منذ ابتعد (أدهم) ..

لم تعد تشعر بالأمان ، مع أى شخص آخر ..

أصبحت تعتمد على نفسها فقط ، وتقاتل دون رحمة أو هوادة ، بعد أن كانت تكتفى فى الماضى بلعب الدور الثانى إلى جوار (أدهم صبرى) ..

والمدهش أن هذا كان يسعدها كثيرًا ..

كان يبهجها أن يدافع (أدهم) عنها ، ويقاتل من أجلها ..

صحيح أن هذا يخالف طبيعة عملها فى المخابرات ، ولكنه يناسب تمامًا طبيعتها كأنثى ..

ويوافق حبها له ..

« لقد .. لقد وصلنا يا سنيوريتا .. » ..

انتزعها السائق من أفكارها بهذه العبارة ، وهو يرتجف ، فاعتدلت وتطلّعت إلى الفندق لحظة ، قبل أن تغادر السيارة ، وتقول له :

ـ كم أجرك بالضبط ؟

لوّح بذراعيه فى ذعر ، هاتفًا :

ـ لست أريد شيئًا يا سنيوريتا .. فقط اتركينى أرحل .. أرجوك .

أشارت إلى خدم الفندق لحمل حقائبها ، وهى تقول له :

ـ نعم .. أعتقد أنها بهذا صفقة عادلة .

انتظر مرتجفًا ، حتى أنزل الخدم الحقائب ، ثم هتف وهو ينطلق مبتعدًا :

ـ شكرًا ياسنيوريتا .. شكرًا جزيلًا .

ابتسمت ساخرة ، والتقطت حقيبة صغيرة ، من بين الحقائب الخمس ، واتجهت إلى موظف الاستقبال بالفندق ، وقالت بالإنجليزية ، فى لهجة تحمل صلفًا متعمدًا :

ـ لديك هنا حجز باسم (إليزابيث وينستون) .. أليس كذلك ؟

ابتسم الموظف ابتسامته الدبلوماسية المعهودة ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يامس (وينستون) .. مرحبًا بك فى (برازيليا) .. جواز سفرك لو سمحت .

ناولته جواز سفر بريطانيًا ، يحمل صورتها بشعرها الأشقر ، وعدستى عينيها الزرقاوين ، مع اسم (إليزابيث جون وينستون) ، وتظاهرت بالقلق وفراغ الصبر ، وهى تقول :

ـ انقل ماتشاء من البيانات ، ومر الخدم بنقل حقائبى إلى جناحى الخاص ، وسألقى نظرة على المكان .

انحنى أمامها فى لباقة ، قائلًا بابتسامته الدبلوماسية :

ـ على الرحب والسعة ياسيدتى .

تظاهرت بالتجوال فى بهو الفندق الفسيح ، وهى تشاهد واجهات المحال التجارية الصغيرة فى لامبالاة ، حتى بلغت ركنًا صغيرًا ، اكتظت واجهته الصغيرة بعدد من التحف الأثرية ، والعملات القديمة ، وبدأ قلبها يخفق فى توتر ..

من أجل هذا المتجر الصغير وصاحبه اليهودى بالذات ، تم اختيار فندق (بلازا) لإقامتها ، وبدء الخطة المطلوبة ..

وفى اهتمام متعمد ، خطت داخل المتجر الصغير ، وسألت صاحبه القصير الأصلع :

ـ أهذه التحف حقيقية ؟

لوح بذراعه ، هاتفًا فى حرارة :

ـ ياله من سؤال ياسنيوريتا !.. إنها تحف حقيقية بالطبع .. ألم تسمعى من قبل عن (شالوم) ومتجره الشهير ؟!.. إننى لاأتعامل إلا بالتحف الحقيقية .. أنا أشهر من يفعل ، فى (أمريكا الجنوبية) كلها .

مطت شفتيها فى صلف متعمد ، وهى تقول :

ـ كلهم يقولون هذا .

قال فى حسم :

ـ إلا (شالوم) .

هزت كتفيها فى لامبالاة استفزازية ، واستدارت وكأنها تهم بالانصراف ، وهى تضغط زرًا خفيًا فى حقيبتها الصغيرة .. وانفتحت الحقيبة بغتة ، كما لو أن هذا قد حدث دون قصد

منها ، وسقطت محتوياتها على أرضية المتجر الصغير ، فهتفت هي في ذعر مفتعل :

ـ رباه !..

وأسرعت تجمع بعض الأوراق ، ورزمتين من الدولارات ، و (شالوم) يسرع لمعاونتها ، قائلاً :

ـ لاتقلقي ياسنيوريتا .. كل شيء على مايرام ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وأطلق بدلاً منها شهقة قصيرة مكتومة ، خفق لها قلبها في شدة ، وأدركت معها أن الخطوة الأولى من الخطة قد بدأت بنجاح تام ..

لقد وقع بصره على العملتين الذهبيتين ، اللتين سقطتا من الحقيبة ، مع ماسقط ..

وكان من الطبيعي أن تجذبا انتباهه في شدة ، ليس لما تحوياته من ذهب ، وإنما لأن تاريخ صنعهما يعود إلى العصور الرومانية القديمة ، وإلى عهد (يوليوس قيصر) بالتحديد (*) ..

ومع التماعة عينيه ، أدركت (منى) أنه التقط الطعم .. ووقع في الفخ .

* * *

(*) يوليوس قيصر - (١٠٢ ـ ٤٤ق.م) : سياسي روماني ، وقائد عسكري تاريخي شهير ، وسليل أسرة عريقة ، اشترك في الحكومة الثلاثية الأولى ، مع (بومبي) و (كراسوس) ، وأصبح واحداً من أعظم القادة في التاريخ ، بعد الحروب الغالية (٥٨ ـ ٤٩ق.م) ، واختلف مع (بومبي) ، فتتبعه وطارده حتى (مصر) ، وهناك وقع في غرام (كليوباترا) ، ثم عاد إلى (روما) ، وتحول إلى ديكتاتور ، فاغتاله أصدقاؤه في مؤامرة شهيرة .



ومع التماعة عينيه ، أدركت (منى) أنه التقط الطعم .. ووقع في الفخ .

٣ ـ الفخ ..

«سنيور (شالوم) يطلب مقابلتك يا سيدى السفير ..» .

تلقى (ميخائيل ليفى) هذه العبارة من مدير مكتبه فى اهتمام، وضغط زر الاتصال الداخلى، وهو يقول :

ـ دعه يدخل .

اعتدل على مقعده، وانتظر حتى دلف (شالوم) إلى مكتبه، وقطع المسافة الطويلة، من الباب حتى المكتب الخشبى الضخم، فى خطوات سريعة واسعة، ثم انحنى أمام (ليفى)، وهو يقول فى خضوع مقصود :

ـ كيف حال سيدى السفير ؟.. أتعشم أن تكون صحته طيبة، وأعصابه أكثر جودة .

تجاهل (ليفى) هذه التحية النمطية، وهو يسأله :

ـ ما الذى أتى بك الآن يا (شالوم) ؟.. أتعشم أنك تحمل جديدًا .

لوح (شالوم) بكفيه بصورة مسرحية، وهو يقول :

ـ وأى جديد يا سيدى السفير .. إننى أحمل مفاجأة .. مفاجأة سارة للغاية .

اعتدل (ليفى) فى اهتمام، وهو يسأله :

ـ وما هى هذه المفاجأة ؟.. هيا .. أفصح يا رجل، فلست أتميز بالصبر .

تألقت عينا (شالوم)، وهو يفرك كفيه، ويبتسم ابتسامة صفراء، قائلا :

ـ العملات الذهبية، التى تحمل صورة (يوليوس قيصر)، والتى تم صكها فى أواخر صيف عام (٤٥ق.م)، ولم يستمر تداولها لأكثر من ستة أشهر .

هبّ (ليفى) من مقعده، وهو يهتف فى لهفة :

ـ عملة الفترة الأوتوقراطية(*) ؟!.. يا للشيطان !.. هل عثرت عليها حقًا يا (شالوم) ؟!.

ابتسم (شالوم) ظافرًا، وهو يقول :

ـ يمكنك أن تقول هذا يا سيدى السفير .

قال (ليفى) فى عصبية :

ـ ما معنى عبارتك السخيفة هذه ؟!. هل عثرت عليها أم لا ؟!

تنحنح (شالوم)، وقال :

ـ لقد عثرت عليها، ولكننى لم أمتلكها بعد يا سيدى .

التقى حاجبا (ليفى) فى شدة، وهو يقول :

ـ أى عبث هذا ؟

ازدرد (شالوم) لعابه، وقال :

(*) الأوتوقراطية : مصطلح يطلق على مرحلة يكون فيها للحاكم سلطة مطلقة غير محدودة، بحيث لا يملك أى شخص آخر معارضته، أو مراجعته، أو حتى مشاركته رأيه، وهذا ينطبق على فترة حكم (قيصر)، ما بين سبتمبر (٤٥ق.م)، ومنتصف مارس (٤٤ق.م)، عندما تم اغتياله ..

- إنها قصة بسيطة يا سيادة السفير .. سأرويها لك ، لتعلم ما أقصده ..

وراح يروى له ماحدث بينه وبين (منى) ..

وبأدق التفاصيل ..

* * *

برقت عينا (شالوم) فى لهفة وجشع ، وهو يحدق فى العملتين الذهبيتين القديمتين ، وامتدت أصابعه إليهما ، ولكن (منى) اختطفتهما فى سرعة ، وأعادتهما إلى الحقيبة ، ثم أغلقتها فى حدة ، وهى تقول :

- لست أحتاج إلى مساعدة أحد .

قال (شالوم) فى انفعال ، وعيناه تلتهمان الحقيبة التهامًا .

- إنها عملات الفترة الأوتوقراطية .. أليس كذلك ؟

أشاحت بوجهها عنه ، وهى تقول :

- لاشأن لك بهذا .

نهضت تهمّ بالانصراف ، ولكنه أمسك ذراعها فى لهفة ، وهو يقول :

- مهلًا ياسيدتى .. أستطيع أن أضمن لك ثروة ضخمة ، مقابل العملتين .

جذبت ذراعها من يده ، وهى تقول فى ترفع متغطرس :

- ومن قال إننى أريد هذه الثروة ؟

قال ولعابه يسيل لهفة :

- دعنى أذكر الرقم على الأقل ، فربما أبدلت رأيك .

التفتت إليه فى حركة حادة ، ورمقته بنظرة مزدرية ، ثم ابتعدت فى خطوات سريعة ، فترك متجره ، وعدا خلفها ، هاتفًا :

- سنيوريتا .. سنيوريتا .. إننى أعتذر .

قالت فى حدة :

- ومن طلب منك الاعتذار ؟

لوّح بذراعيه ، قائلًا :

- أردت أن أقول إننى لم أقصد إغضابك ، ولكن هذه العملات نادرة بحق ، وهناك من هواة جمع العملات من يستعد لدفع نصف عمره ، من أجل الحصول على قطعة واحدة منها ، وتصوّرت أن ...

قاطعته فى عصبية ، أحسنت افتعالها :

- هل ستعود إلى حديث البيع هذا ؟

هتف :

- لا .. لا .. لن أتحدث عن البيع .

ثم أضاف فى ضراعة ، وهو يكاد ينحنى ليلثم أصابعها متوسلًا :

- ولكننى أطلب رؤيتها فحسب .

قالت فى غطرسة :

- لقد رأيتها بالفعل .

قال فى لهفة :
ـ ولكننى لم أفحصها ..
بدا التردد عليها ، فأضاف :
ـ أرجوك ياسنيوريتا .. أرجوك .
وقفت تتطلع إليه لحظة ، ثم تنهدت قائلة :
ـ لا بأس .
تهللت أساريره ، وهو يقول :
ـ أشكرك ياسنيوريتا .. أشكرك كثيرا .. لن أضيع من وقتك أكثر من دقيقتين .
عادت معه إلى المتجر الصغير ، وفتحت الحقيبة فى حذر ، وناولته واحدة من العملتين الذهبيتين ، فالتقطها من بين أصابعها فى لهفة ، واختطف من درج مكتبه عدسة مكبرة ، وراح يفحصها فى انفعال واضح ..
وفى أعماقها ، ابتسمت (منى) فى سخرية ظافرة ..
لقد ابتلع (شالوم) الطعم حتى الأعماق ..
وسيبتلعه أكثر وأكثر ، بعد أن ينتهى من فحص العملة الذهبية القديمة ، فنظرًا لأهمية وخطورة المهمة ، بذل جهاز المخابرات المصرى جهدًا لاحدود له ، وجند نصف رجاله ، فى مختلف أنحاء العالم ، حتى أمكنه الحصول على عملتين أثريتين حقيقيتين ، يصلحان لإسالة لعاب هاوٍ شره ، مثل (ميخائيل ليفى) ..

وبرقت عينا (شالوم) أكثر وأكثر ، وهو يقلب العملة بين أصابعه ، ويقول فى لهفة :
ـ إنها قطعة أصلية .. مامن أدنى شك فى هذا .
اختطفت القطعة الذهبية من بين أصابعه ، بعد أن أيقنت من أنها قد أدت دورها تمامًا ، وقالت فى صرامة :
ـ قلت دقيقتين فقط .. أليس كذلك؟
خيل إليها أنها انتزعت قلبه من بين ضلوعه ، عندما انتفض جسده كله ، وتحرك حركة عنيفة ، وكأنما يهم باختطاف العملة الذهبية مرة أخرى من يدها ، قبل أن يجذب ورقة وقلمًا فى سرعة ، ويقول فى انفعال :
ـ فكرى فى الأمر جيدًا ياسنيوريتا .. أرجوك .
قالها وهو يخط رقمًا على الورقة ، ويناولها إياه ، فمطت شفتيها فى تعالٍ ، وهى تمزق الورقة ، دون أن تلقى نظرة واحدة عليها ، قائلة :
ـ لست مستعدة لمجرد التفكير .
وعندما انصرفت من المكان ، كانت واثقة من أنها قد ربحت هذه الجولة ..
ربحتها تمامًا .

* * *

استمع (ليفى) إلى (شالوم) فى عصبيـــة ، ثم أشعل سيجارة ، ونفث دخانها فى توتر ، وهو يقول :

- إذن فهى ترفض بيع مالديها .
أومأ (شالوم) برأسه إيجابًا ، وأضاف :
- وبشدة .
أخذ (ليفى) ينفث دخان سيجارته فى صمت وعصبية لحظات ، ثم سأل :
- هل عرفت أين تقيم؟
أجابه (شالوم) فى سرعة ، وكأنه كان يتوقع السؤال :
- اسمها (إليزابيث وينستون) .. بريطانية ، وتقيم فى الجناح رقم ثلاثة وأربعين ، فى فندق (بلازا) ، ومن الواضح أنها ثرية ، فقد أحضرت معها خمس حقائب كبيرة .. أراهن أنها تكتظ بالثياب الفاخرة .
هز (ليفى) رأسه فى صمت ، وقال :
- هكذا .
ثم ضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، وقال :
- (دان) .. أريد منك أن تجمع لى كل المعلومات الممكنة ، عن نزيلة فى فندق (بلازا) .. تحمل اسم (إليزابيث وينستون) .
ثم عاد يلتفت إلى (شالوم) وقال :
- حسنًا يا (شالوم) .. اترك لى هذه المهمة .
بدا الذعر على وجه (شالوم) ، وهو يقول :
- ولكن لاتنس أننى أستحق عمولتى ياسيدى السفير .. أليس كذلك؟

أجابه (ليفى) فى غضب :
- وهل نسيت منحك إياها يومًا أيها الحقير .. هيا .. اغرب عن وجهى .. هيا .
أسرع (شالوم) يغادر الحجرة ، وهو يهتف :
- شكرًا جزيلًا ياسيدى السفير .. شكرًا جزيلًا .
اعتدل (ليفى) فى مجلسه ، وراح ينفث دخان سيجارته فى تفكير عميق ، حتى انتهت السيجارة ، فأطفأها فى المنفضة ، وعاد يضغط زر الاتصال الداخلى ، وهو يقول :
- (دان) .. مر السائق بالاستعداد ، فسأخرج بعض الوقت .
سأله (دان) :
- هل تحتاج إلى حراسة خاصة ياسيدى؟
مط (ليفى) شفتيه ، وقال :
- لا إنها مجرد زيارة يا عزيزى (دان) .
وارتسمت على شفتيه ابتسامة واثقة ، وهو يستطرد :
- زيارة لفندق (بلازا) .
وأشعل سيجارة أخرى ..

* * *

بدت (منى) فاتنة فى تلك المساء ، وهى تضع اللمسات الأخيرة من زينتها أمام المرآة ، ويبدو أن هذا الاهتمام المبالغ بوجهها وزيها ، والذى يتمشى مع شخصية (إليزابيث) ، قد

أدهشها إلى حد ما ، فقد تطلعت إلى وجهها فى المرآة بدهشة ، وغمغمت :

ـ عجبًا ! .. إننى أبدو جميلة بالفعل .

وارتسمت على شفتيها ابتسامة شاردة ، وهى تستطرد فى هيام :

ـ آه لو ترى هذا يا (أدهم) !

لم تكد تنطق اسمه ، حتى تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وكأنه سمع عبارتها بأذنيه ، وعادت تتطلع إلى وجهها لحظة ، ثم أشاحت به عن المرآة ، واستندت إليها فى شرود ..

نعم .. كانت تتمنى لو أنه يراها الآن ، على الرغم من معرفتها لذوقه ، الذى يفضلها بسيطة ، دون إفراط فى زينتها ، بحجة أنها أجمل من أن تحتاج إلى أدوات الزينة ..

وهى تعشق أسلوبه هذا ! ..

تهيم عشقًا ببساطته ، وثقته بنفسه ، وذلك المزيج العجيب فى أعماقه ، من القوة والحنان ، والشدة والعطف ..

كانت تتمنى لو قضت ليلتها كلها ، وهى تستعيد أدق ذكرياتها معه ، لولا أن سمعت دقات هادئة على باب حجرتها ، فاعتدلت فى حركة حادة ، وقالت :

ـ من بالباب ؟!

أتاها صوت قوى ، يقول :

ـ (ميخائيل ليفى) .. السفير الإسرائيلى فى (البرازيل) .

سرت فى جسدها موجة من الانفعال ، عندما ذكر اسمه ، وهتفت فى أعماقها :

ـ هو .. هو بنفسه .. ياله من نجاح !

لم تكن هى ، أو حتى خبراء الإدارة قد توقعوا أن يكون الطعم بكل هذه القوة ، التى دفعت (ليفى) إلى الحضور بنفسه ، متجاوزًا كل قواعد الأمن المعروفة ، فى عالم المخابرات وعالم السياسة أيضًا .

وفى سرعة ، فتحت باب الحجرة ، وتطلعت إليه فى صمت ..

كان طويلًا ، ممشوق القوام ، عريض المنكبين ، له رأس أصلع ، وفودان وخطهما الشيب ، وشارب ولحية قصيرة ، وكانت هناك عصابة سوداء تخفى عينه اليسرى ، فى حين تتفرس عينه اليمنى فيها فى اهتمام وتفحص ، جعلاها تقول فى سخرية :

ـ من هذا ؟ .. (موشى ديان)(*) .

ارتسمت على شفتى (ليفى) ابتسامة دبلوماسية ، وهو يقول :

(*) وزير الدفاع الإسرائيلى الأسبق .

- لقد انتهت أيام (موشى ديان) بوفاته ياسنيوريتا ، وهذه الأيام تختلف كثيرًا .

عقدت ساعديها أمام صدرها ، وهى تسأله فى برود :

- وما الذى تطلبه بالضبط ، ياصاحب هذه الأيام ؟

أشار إلى الداخل ، قائلًا :

- ادعونى إلى الدخول أولًا .

زفرت متظاهرة بالضجر ، وقالت :

- تفضّل ، وإن كنت أجهل السبب القوى ، الذى جعل السفير الإسرائيلى نفسه يأتى لمقابلتى .

تلفت إلى الحجرة ، وهو يقول :

- ستعلمين كل شىء الآن ياسنيورتى .

واتخذ لنفسه مقعدًا ، وهو يتابع :

- لقد علمت من مصدر ما ، أنك تمتلكين عملتين نادرتين من عملات الفترة الأوتوقراطية الرومانية القديمة .

تظاهرت بالغضب ، وهى تقول :

- ألايكف تاجر الأثريات اللعين هذا عن الثرثرة ؟

أجابها (ليفى) فى هدوء :

- لن يمكنه هذا ؛ فمهنته تحتاج إلى الحديث طويلًا ، ولكن لاتقلقى نفسك بشأنه ياسنيورتى ، وأجيبى عن سؤالى أولًا .. أأنت من هواة جمع العملات الأثرية ؟!

هزّت رأسها نفيًا ، وهى تعقد ساعديها أمام صدرها قائلة :

- كلا بالتأكيد .. إننى حتى لاأعرف معنى كلمة (أوتوقراطية) هذه .

تنهّد وقال :

- لماذا تصرّين على عدم بيع العملتين إذن ؟

قالت فى لامبالاة :

- لقد ورثتهما عن والدى ، ولهما فى أعماقى ذكرى هامة .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يقول :

- ذكرى ؟!

ثم انفجر يقهقه لحظات ، حتى تظاهرت هى مرة أخرى بالغضب ، وقالت :

- ما الذى يضحكك ؟

توقف عن الضحك ، وقال فى حزم مباغت :

- موقفك ياسيدتى .. إنك تجهلين قيمة مالديك ، وتحتفظين به لسبب عاطفى سخيف .

هتفت :

- سخيف ؟!.. كيف تجرؤ ؟!

أجابها فى صرامة :

- أسلوبك هو الذى دفعنى إلى هذا ياسنيوريتا ، فمن الواضح أن معلوماتك التاريخية لاتقل ضآلة عن معلوماتك الأثرية .. هل تعرفين من هو (يوليوس قيصر) ، الذى يحمل أحد جانبى العملة صورته ؟

أجابته فى حدة :

- بالطبع .. إنه ذلك الرومانى ، الذى أدى (ريكس هاريسون) دوره ، فى فيلم (كليوبترا) .

ابتسم فى سخرية ، وقال :

- أهذه كل معلوماتك عنه ؟!

ثم اعتدل مستطردًا فى صرامة :

- (يوليوس قيصر) هذا واحد من أعظم القادة فى التاريخ .

قالت فى سخرية :

- مثل (أدولف هتلر)(*) .

انعقد حاجباه فى ضيق ، وأدرك أنها تحاول استفزازه ، ولكنه تابع فى عصبية :

- لقد ترك (قيصر) (كليوبترا) هذه فى (مصر) ، وواصل غزواته وانتصاراته ، حتى أحرز انتصاره العظيم فى (موندا) الأسبانية ، فى مارس عام (٤٥ ق . م) ، ثم عاد إلى إيطاليا فى نهاية الصيف ، وأمر بسك عملة ذهبية خاصة ، تحمل صورته ، كذكرى لانتصاره فى (موندا) ، وبعدها راح يضع النظم والقوانين ، التى تدعم الإمبراطورية الرومانية ، وانتزع لنفسه سلطة مطلقة ، فيما عرف باسم (المرحلة الأوتوقراطية) ، ولكن أسلوبه هذا دفع عددًا من معاونيه

(*) أدولف هتلر (١٨٨٩-١٩٤٥م) ، ديكتاتور ألمانى ، وزعيم الحزب النازى ، ومؤسس الرايخ الثالث ، اشترك فى الحرب العالمية الأولى ، وأدت سياسته إلى نشوب الحرب العالمية الثانية ، التى انتهت بهزيمة ألمانيا وانتحاره .

وأصدقائه إلى اغتياله ، فى منتصف مارس عام (٤٤ ق . م) ، وبعد مصرعه لم يعد أحد يتداول تلك العملة ، التى تحمل صورته ، وذكرى انتصار (موندا) ، فأصبحت واحدة من أكثر العملات الأثرية ندرة فى العالم كله .

صفقت بكفيها فى سخرية ، قائلة :

- درس تاريخ رائع أيها السفير .. والآن أتسرد على مسامعى درسًا فى الجغرافيا أو الفلك؟

انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول :

- يبدو أنك تحتاجين درسًا من نوع آخر .

اعتدلت قائلة فى حدة :

- فليكن .. غادر حجرتى أولًا ، وبعدها افعل مايحلو لك ، وإلا طلبت رجال الشرطة .

ابتسم فى سخرية ، قائلًا :

- يبدو أن معلوماتك السياسية أيضًا ضعيفة ، فأنا سفير لبلادى هنا ، وأتمتع بحصانة ديبلوماسية خاصة ، ولايمكن لرجال الشرطة إلقاء القبض علىَّ ، مهما كانت الأسباب .

قالت فى غضب :

- حتى لو قررت احتلال حجرتى .

نهض واقفًا ، وهو يقول :

- لا ياسنيوريتا .. لست أحتل حجرتك .. إنما أنا هنا لأقدم لك عرضًا خاصًا .. أشك فى رفضك إياه .

تطلعت إليه فى صمت ، ودون تعليق ، فتابع بابتسامة صفراء :

- إننى مستعد لشراء العملتين ، بالثمن الذى يحدده أى تاجر آثار ، وإلا ..

صمت متطلعًا إليها ، وعيناه تحملان تهديدًا واضحًا ، ولكنها قالت فى حدة :

- وإلا ماذا؟

أجاب فى برود متعمَّد :

- وإلا فسأحصل عليهما ، دون أن أدفع لك بنسًا واحدًا .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول :

- أتهددنى أيها السفير؟

ابتسم قائلًا :

- بل أحذرك ياسنيوريتا .

ثم غادر الحجرة ، وأغلق بابها خلفه فى هدوء ، ولم يكد يفعل حتى تلاشى غضبها ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة كبيرة ..

كانت الخطة تسير على مايرام ، ولو استمر الوضع على هذا المنوال ، فستصبح مهمتها الأولى عظيمة ..

وناجحة ..

* * *

ظل وجه (دان جوريل) ، مدير مكتب (ليفى) جامدًا كعادته ، وهو يقدِّم ملفًا صغيرًا إلى هذا الأخير ، قائلًا :

- هاهى ذى كل المعلومات المتاحة عن (إليزابيث

ونستون) ياسيِّدى السفير .. إنها عارضة أزياء سابقة ، لم تلق نجاحًا كبيرًا فى مهنتها ، ولكنها ورثت عن والدها الراحل ثروة لابأس بها ، ومنزلًا كبيرًا فى (يوركشاير) .

راجع (ليفى) هذه المعلومات بنفسه ، قبل أن يسأله :

- من أين حصلت على هذه المعلومات؟

أجابه (دان) :

- من مكتبنا فى (لندن) ياسيِّدى .

هزَّ (ليفى) رأسه متفهمًا ، وقال :

- وهل أبلغت (باخوس) بالمطلوب؟

أجابه (دان) بنفس الملامح الجامدة :

- نعم .. وسيؤدى مهمته هذا المساء .

قال (ليفى) :

- عظيم .. سيلقِّن هذا صديقتنا البريطانية درسًا ، لن تنساه أبدًا .

سأله (دان) :

- هل من خدمة أخرى ياسيِّدى السفير؟

أجابه (ليفى) فى هدوء ، وهو يشعل سيجارته :

- لايا(دان) .. شكرًا لك .. يمكنك أن تعود إلى مكتبك .

غادر (دان) المكتب ، فى حين عاد (ليفى) يقرأ الملف مرة أخرى ، قبل أن يمط شفتيه ، قائلًا :

- المعلومات تبدو صحيحة ، ولكن ماذا أفعل لطبيعتى المتشككة .

التقط سماعة هاتفه ، وضغط رقمًا خاصًا ، وانتظر حتى سمع صوتًا أنثويًا ناعمًا ، وقال :

- مساء الخير يا عزيزتى (زيليا) .. نعم .. إننى أنا .. بالتأكيد يا عزيزتى .. أنا أيضًا أشتاق إليك كثيرًا ، ولكن استمعى إلىّ أولاً ، فلدى مهمة لك .

وبدا الاهتمام الشديد فى صوته ، وهو يتابع :

- مهمة خاصة جدًا ..

ونفث دخان سيجارته فى قوة ..

* * *

شعرت (منى) بضجر حقيقى فى تلك الليلة ، وهى تتابع بعض الاستعراضات الراقصة ، فى الملهى الملحق بالفندق ، ولكنها حافظت على ابتسامتها وتظاهرها بالاهتمام ، ليتفق أسلوبها وطبيعتها مع شخصية عارضة الأزياء البريطانية ، التى منحها إياها خبراء الإدارة ، وراحت تتمنى لو يمضى الوقت فى سرعة ، لتغادر هذا المكان السخيف ، وتعود إلى حجرتها ..

وفى تمام منتصف الليل ، أطلقت من صدرها زفرة قوية ، وقالت لنفسها :

- أظننى سأحتذى بالعزيزة (سندريلا) ، وأكتفى بالسهر حتى منتصف الليل ، مع استثناء أننى لن أترك حذائى خلفى ..

نهضت من مكانها ، وأسرعت تغادر الملهى ، وهى تتابع ساخرة :

- ألم يكن من الأفضل أن أنتحل شخصية طالبة عادية ؟

وقفت تنتظر المصعد فى فراغ صبر ، حتى سمعت صوتًا يقول :

- مساء الخير يا سنيوريتا .. هل اعتدت النوم مبكرًا هكذا ؟

لم تكن تميل إلى التحدث مع الغرباء ، ولكن (اليزابيث) لم تكن لتمانع فى هذا ؛ لذا فقد تطلعت إلى الشاب القصير ، العريض الصدر ، الذى ألقى هذا السؤال ، وأجابت فى لامبالاة :

ليس عادة ولكننى وصلت اليوم فحسب ، وأحتاج إلى بعض الراحة .

سألها مبتسمًا :

- أأنت أمريكية ؟

أجابته وهى تحوّل وجهها عنه :

- بل بريطانية .

سمعته يقول :

- كان ينبغى أن أدرك هذا .

لم تحاول سؤاله عما يعنيه ، ووضعت حقيبتها الصغيرة تحت إبطها ، فى نفس الوقت الذى وصل فيه المصعد ، فدخلته فى خطوة واسعة ، ولحق بها الشاب ، وبدأ المصعد رحلته بهما ، والشاب يقول :

- من حسن حظى أن التقيت بك .

سألته فى ضجر :

ـ لماذا؟

أدهشها أن أجاب :

ـ لتوفير الوقت فحسب .

التفتت إليه فى حركة سريعة ، ثم تراجعت فى حدة ، عندما شاهدت مايحمله فى يده ..

كان يحمل خنجرًا ضخمًا ، هوى به فى سرعة ، قبل أن تتدارك نفسها ، و ...

.. وأصاب هدفه .

* * *



التفتت إليه فى حركة سريعة، ثم تراجعت فى حدة، عندما شاهدت ما يحمله فى يده ..

٤ ـ الصراع ..

من أطرف المشاهد المألوفة ، بالنسبة لرجال أمن مبنى المخابرات العامة المصرية ، مشهد (قدرى) ، عندما يصل بسيارته الصغيرة إلى المبنى ، ويجاهد للخروج بجسده الضخم منها ..

وفى ذلك اليوم ، ارتسمت على وجوه الجميع ابتسامات مرحة ، عندما عجز (قدرى) عن مغادرة سيارته ، فراح يقاتل فى استماتة ، ويدفع قدميه وذراعيه يمنة ويسرة ، ويلهث فى شدة ، قبل أن يهتف :

ـ هل ستقضون الوقت كله فى التطلع إلىّ هكذا؟! ألن يعاوننى أحدكم؟

شعر فجأة بيد قوية تدفعه من الخلف ، وسمع صوتًا مرحًا يقول :

ـ لن يمكنهم هذا .. إنك تحتاج إلى ونش المرور ياصديقى .

عاونته الدفعة على مغادرة السيارة ، فالتفت لاهثًا إلى صاحب الصوت ، وقال :

ـ صباح الخير يا (حسام) .. إنك تذكرنى بصديق عزيز .

ابتسم (حسام) ، وهو يغلق السيارة ، ويدور حولها ليصافح (قدرى) ، قائلاً :

ـ هذا يسعدنى ياصديقى .

سارا جنبًا إلى جنب ، عبر ممرات المبنى ، وبدا الاهتمام فى صوت (حسام) ، وهو يقول :

ـ أتعلم .. إننى أشعر بالقلق على (منى) ؛ فهذه ـ كما علمت ـ أول مهمة تخرج إليها وحدها .

هزّ (قدرى) رأسه ، وقال :

ـ لاتجعل هذا يقلقك ، فهى ليست مدنية .. إنها تعمل بالمخابرات منذ سنوات .

قال (حسام) :

ـ أعلم هذا ، ولكننى لاأستطيع منع نفسى من القلق عليها .

ربّت (قدرى) على كتفه ، قائلاً :

ـ اطمئن .

صمتا لحظات ، ثم سأله (حسام) :

ـ أظن فارق التوقيت بيننا وبينها سبع ساعات كاملة .. أليس كذلك؟

أجابه (قدرى) :

ـ هذا صحيح .. إنها السابعة صباحا هنا ، وهذا يعنى أنها منتصف الليل هناك ، فى (برازيليا) .

ثم ضحك قائلاً :

ـ وأراهنك أن (منى) غارقة الآن فى نوم عميق .. أنا أعرفها جيدًا ..

لا يا (قدرى) .. (منى) ليست غارقة فى النوم الآن ..
إنها تواجه الخطر ..
خطر الموت ..

* * *

عندما هوى الشاب بخنجره ، كان - كمحترف - يعرف هدفه جيدا ..

ولقد أصابه بمنتهى الدقة ..

وتمزق الهدف ..

ولكن من حسن الحظ أن هذا الهدف لم يكن (منى) ، وإنما الحقيبة التى تحملها ، والتى مزقتها ضربة الخنجر إلى نصفين ، فانفرط ما فيها ، وسقط فى أرضية المصعد ..

وفى اللحظة التالية تحركت (منى) ، فمالت جانبا ، لتتفادى أية ضربة ثانية محتملة ، ودفعت ركبتها فى معدة خصمها ، ثم هوت على عنقه بضربة عنيفة ، ولكن الشاب تفادى الضربة الثانية ، وحاول أن يطعنها بخنجره ، وهو يقول عبارة غاضبة بلغة لم تفهمها ، فتفادت طعنته ، التى أصابت جسم المصعد ، ومزقت غطاء الجدران المخملى ، ثم لكمت الشاب فى مؤخرة عنقه لكمة قوية ، أعقبتها بأخرى على رأسه ، وتراجعت لتفسح له مجال السقوط ..

وتكوم الشاب فاقد الوعى ، على أرضية المصعد ، فى حين انحنت هى تجمع محتويات الحقيبة فى سرعة ، وهى تغمغم :

- يبدو أن صديقنا (ليفى) قد قرر التخلى عن الدبلوماسية وأعمال المخابرات ، والانتقال إلى أعمال اللصوصية والإجرام .

غادرت المصعد فى سرعة ، تاركة الشاب داخله ، وفتحت باب حجرتها ، واندفعت داخلها ، وأضاءت الأنوار ، و ...

وشهقت فى دهشة ..

كانت الحجرة كلها مقلوبة رأسا على عقب ، وحقائبها مفتوحة ، وكل الثياب بها ممزقة عن آخرها ، ومحتوياتها الأخرى مبعثرة على نطاق واسع ، وقد حطم شخص ما كل أدوات الزينة الخاصة بها ..

وجالت (منى) ببصرها فى المكان بعض الوقت ، قبل أن تعقد حاجبيها فى غضب ، وتقول فى سخط :

- هناك تعديل بسيط .. إن (ليفى) لم ينتقل إلى أعمال الإجرام ، وإنما إلى أفعال المخبولين .

قالتها واتجهت إلى الفراش ، وعالجت قائمه الأيسر فى سرعة ، ثم انتزعت جزءًا منه ، وابتسمت فى ارتياح ، عندما رأت العملتين قابعتين داخله ، والتقطتهما لتدسهما فى جيب سرى بثوبها ، ثم اتجهت إلى الهاتف ، ورفعت سماعته ، وهمت بطلب (ليفى) مباشرة ، إلا أن أصابعها تجمدت فجأة ..

لم يكن من الطبيعى أن تعرف (إليزابيث ويتستون) ، عارضة الأزياء العادية رقم السفير الإسرائيلى ، ولا أن تتصل به فى مثل هذه الساعة ؛ لذا فقد أبدلت موقفها بسرعة ، وطلبت رقما قصيرا ، وقالت فى غضب مدروس :

ـ أريد المسئول عن أمن هذا الفندق .

وكان لها ما أرادت ..

* * *

تطلع مسئول الأمن فى دهشة بالغة إلى ما أصاب الحجرة ، والتفت إلى (منى) يسألها فى حيرة :

ـ ألديك أعداء هنا ياسنيوريتا ؟

أجابته فى حدة :

ـ ألا يسعى اللصوص فى بلادكم إلا لسرقة أعدائهم ؟

هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ هذه ليست عملية سرقة عادية ياسيدتى .. إنه عمل انتقامى بحت ، فاللص لايضيع وقته فى تمزيق الثياب ، وتحطيم أدوات الزينة على هذا النحو .

قالت :

ـ ربما كان لصا ناقما .

عاد يهزّ رأسه ، قبل أن يقول :

ـ وهل فقدت الكثير ياسيدتى ؟

قالت متظاهرة بالحنق :

ـ لم أحص الخسائر بعد ، ولكننى خسرت الثياب على الأقل .

أدار عينيه مرة أخرى فى المكان ، قبل أن يقول :

ـ الثياب فقط ؟!.. سيدهشنى هذا فى الواقع .

قالت فى غضب :

ـ ربما أعرف من فعل هذا ، ولكن ...

بترت عبارتها فى الجزء المطلوب تماما ، فسألها الرجل فى اهتمام :

ـ ولكن ماذا ؟!

بدت له وكأنها تغلى غضبا ، وتكتم شيئا ما فى أعماقها ، فمال نحوها ، مستطردا فى لهجة تحمل الكثير من القلق والاهتمام :

ـ أخبرينى مالديك ياسيدتى .. هذا ماينبغى أن تفعليه ، فهناك أشياء عجيبة تحدث فى الفندق ، منذ منتصف الليل ، وحادثتك ليست الحادثة الوحيدة ، فلقد عثرنا على السيد (باخوس) ، نزيل الحجرة رقم اثنين وثلاثين ، فاقد الوعى فى المصعد ، ويقول إن لصا هاجمه وحاول سرقته .

كادت تبتسم فى سخرية ، ولكنها كتمت ابتسامتها فى أعماقها ، وواصلت تظاهرها بالغضب والسخط ، وهى تقول :

ـ إذن فقد أصبح فندقكم مرتعا للصوص والقتلة .

أجابها فى ذعر :

ـ كلا ياسيدتى .. لاتتصورى هذا أبدا .. فندقنا فندق محترم ، وهذه مجرد مرحلة عابرة ، و ..

قاطعته بغتة :

ـ هل تعرف رقم السفارة الإسرائيلية ؟.

حدّق في وجهها بدهشة ، قبل أن يرتد :

ـ السفارة الإسرائيلية ؟! .. لماذا ياسيّدتي ؟

قالت في حدة :

ـ ليس هذا من شأنك .. هل تعرف رقم هاتفها أم لا ؟

ازدرد لعابه ، وهو يتطلّع إليها في حيرة ، ثم أجاب :

ـ ستجده حتمًا في استعلامات الفندق .

اتجهت على الفور إلى الهاتف ، ورفعت سماعته بحركة بدت عصبية ، وقالت للموظفة المسئولة :

ـ أريد التحدّث إلى السفارة الإسرائيلية الآن .. نعم .. أعلم أنها الثالثة صباحًا ، ولكنني أريد التحدّث إليها فورًا .

كانت تتصرّف تمامًا كعارضة أزياء عنيدة غاضبة ، تواجه موقفًا محنقًا ..

وكان هذا هو المطلوب بالضبط ..

وعلى الرغم من استنكار عاملة الهاتف إتمام مثل هذه المكالمة ، في موعد كهذا ، إلا أنها لم تملك الاعتراض على مطلب النزيلة ، وأوصلتها بالسفارة الإسرائيلية مباشرة ، وظلّ رنين الهاتف مستمرًا لحظات ، ثم سمعت (منى) شخصًا يقول بالعبرية :

ـ السفارة الإسرائيلية .. من المتحدّث ؟

أجابته في عصبية :

ـ أريد التحدّث إلى السفير شخصيًا .. اسمي (اليزابيث

وينستون) .. نعم .. السفير شخصيًا .. أعلم أن الوقت لايناسب هذا ، ولكن ثق بأنه سيوافق على التحدّث إليّ ، فور معرفة اسمي ، وسيشتعل غضبًا ، لو أنك لم تنقل رغبتي هذه إليه على الفور ، و ..

قاطعها صوت (ليفي) على نحو مباغت ، وهو يقول :

ـ صباح الخير يامس (وينستون) .

بوغتت بهذا ، فانعقد لسانها لحظة ، قبل أن تندفع قائلة :

ـ إذن فأنت لم تنم بعد .

أجابها بصوت يحمل رنة سخرية واضحة :

ـ إنني أنتظر محادثتك هذه ، منذ منتصف الليل .

تركت حاجبيها ينعقدان في غضب ، وهي ترفع عينيها إلى مسئول الأمن ، قائلة في حدة :

ـ اتركني وحدي ، وابحثوا لي عن جناح آخر .

قال الرجل ، وهو يسرع لمغادرة المكان :

ـ بالتأكيد ياسنيوريتا .. بالتأكيد .

ثم عادت تتحدّث مع (ليفي) ، قائلة :

ـ أتعلم أنك أحقر سفير عرفته .

قهقه ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ أهذا مدح أم ذم .

صرخت :

ـ بل توضيح لحقيقتك أيها الوغد .

أجابها بنفس الرنة الساخرة :

ـ والآن ماذا بعد توضيح الحقائق ؟

قالت ثائرة :

ـ لقد مزقت ثيابى كلها ، وحطمت أدوات الزينة ، و ...

تابع هو فى سرعة :

ـ وسرقنا كل نقودك ، وحتى جواز سفرك ، ولم يعد أمامك سوى حل واحد .

لم تكن قد انتبهت إلى ضياع جواز سفرها ونقودها ، ولكنها قالت فى حدة :

ـ أن أمنحك العملتين الذهبيتين .. أليس كذلك ؟

قال في ثقة ساخرة :

ـ لن آخذهما دون مقابل بالطبع .. سأعيد إليك جواز سفرك وبضعة آلاف من الدولارات .. هل يكفيك هذا ؟

صرخت :

ـ أنت وغد .

قال ساخرا :

ـ متى تأتين إذن لزيارة هذا الوغد ، ومعك العملتان ؟

صمتت لحظة ، ابتسمت خلالها فى ارتياح ، قبل أن تستعيد لهجتها الغاضبة ، وتهتف :

ـ فى الثامنة صباحا أيها الحقير .

قال فى هدوء :

ـ سأنتظرك على أحر من الجمر .

أنهت المحادثة فى عنف متعمد ، وإن ارتسمت على وجهها ابتسامة كبيرة ،وهى تتجه فى خطوات سريعة إلى إحدى الحقائب المحطمة ، وتنزع إطارها الجانبى ، ثم تلتقط من فجوته علبة مخملية صغيرة ، من ذلك الطراز المستخدم لتقديم الهدايا الذهبية والمجوهرات ، واتسعت ابتسامتها أكثر ، وهى تقول ساخرة :

ـ بل أنا التى انتظرك على أحر من الجمر أيها الوغد .

واحتضنت العلبة المخملية الصغيرة فى ظفر ، وهى تتحسس قاعدتها السفلية فى حذر وارتياح ؛ فقد كانت هذه القاعدة تحوى ذلك الشىء ، الذى سيحقق للمخابرات المصرية أفضل نجاح منشود ..

النجاح التام ..

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى تمام الثامنة صباحا ، عندما نهض (ليفى) من خلف مكتبه الضخم ، ليصافح (منى) بابتسامة نصف ساخرة ، وهو يقول :

ـ صباح الخير يا عزيزتى (اليزابيث) .. كم يسعدنى وجودك هنا .. فى مكتبى المتواضع .

ألقت نظرة على المكتب البالغ الفخامة ، بكل مايحويه من تحف ثمينة ، وقالت :

- متواضع ؟! .. كيف تبدو المكاتب الفاخرة إذن ؟

لم يحاول التعليق على عبارتها ، وهو يعاود الجلوس ، قائلًا :

- هل أحضرت العملتين ؟

جلست على المقعد المقابل لمكتبه ، وهي تسأله :

- ألا يمكن أن تكتفي بقطعة واحدة ؟

قال في صرامة ، وهو يمدّ يده إليها :

- العملتان يامس (وينستون) .

زفرت في عصبية ، وأخرجت العلبة المخملية البالغة الأناقة من حقيبتها ، وألقتها إليه قائلة :

- تُرى ما الذي يطلقه القانون على هذا ؟.. سرقة دبلوماسية ؟!

رمقها بنظرة جانبية سريعة ، وهو يلتقط العلبة ، ويتطلّع إليها في اهتمام واضح ..

كانت تحفة رائعة ، من المخمل الزيتوني ، مرصّعة بقطع صغيرة من الماس ، داخل إطار بلاتيني منقوش ، يحمل توقيع واحد من أشهر صانعي التحف والمجوهرات في العالم أجمع ..

وكانت تناسب ذوق (ليفي) تمامًا ..

وفي شغف شديد ، راح (ليفي) يقلّب العلبة بين أصابعه ، وعيناه تبرقان في إعجاب واضح ، قبل أن يضغط زرًا ماسيًا في مقدمتها ، فيرتفع غطاؤها بحركة ناعمة أنيقة ، وتتألق أسفله العملتان الذهبيتان النادرتان ، وسط إطار من الحرير الأسود ..

وكان من العسير على جامع تحف وأثريات ، مثل (ميخائيل ليفي) ، أن يقاوم شيئًا بديعًا كهذا ..

ولكن (ليفي) أطلق من صدره زفرة حارة ، وهو يقول :

- ياللخسارة !

بثت عبارته شيئًا من القلق ، في أعماق (منى) ، فسألته :

- أليست العملات سليمة ؟

التفت إليها ، قائلًا :

- بل سليمة وأصلية تمامًا ، ولكن ..

توقف ليمط شفتيه في أسف ، فسألته في حذر :

- ولكن ماذا ؟

تطلّع إليها لحظة في صمت ، ثم مال نحوها ، قائلًا :

- ولكنكم أفسدتم العلبة .

تراجعت متمتمة في دهشة :

- أفسدنا ماذا ؟

رفع العلبة بأصابعه ، قائلًا :

- أفسدتم العلبة .. هذه التحفة الرائعة .. هيا .. أخبريني يا عزيزتي .. أين وضعتم أجهزة التصنّت ؟.. في الغطاء أم في القاعدة ؟

شعرت بقوله كالصاعقة ، التي هوت على عقلها بغتة ، وارتج عليها ، فتطلّعت إليه في توتر ، وهي تسأل نفسها .. أهي مناورة منه ؟..



تطلعت فى دهشة إلى الكيس الصغير ، المصنوع من النايلون ، وإلى أصبع طلاء الشفاه المستقر داخله ..

أهى خدعة ؟..

ولكن تلك الابتسامة الساخرة ، التى ملأت وجهه ، جعلت قلبها يكاد يهوى بين ضلوعها ، وهو يخرج شيئا ما من درج مكتبه ، ويضعه أمامها ، قائلا :

ـ أتعرفين ما هذا ؟

تطلعت فى دهشة إلى الكيس الصغير ، المصنوع من النايلون ، وإلى إصبع طلاء الشفاة المستقرّ داخله ، ثم تفجّر القلق فى نفسها دفعة واحدة ..

كان طلاء الشفاة هذا يخصها ..

إنها لم تنتبه إلى اختفائه سوى الآن ، مع تحطيم كل أدوات زينتها ..

ولكنها ـ حتى بعد أن انتبهت إلى هذا ـ لم تفهم مايقصده (ليفى) ، الذى تابع فى سخرية تحمل قدرًا من الشماتة :

ـ لقد بذلت صديقتى (زيليا) جهدا مشكورًا ، لتمزيق ثيابك وتحطيم أدوات التجميل الخاصة بك ، وهى تبحث عن العملتين الذهبيتين ، ولكنها ـ وبناء على مطلبى ـ التقطت إصبع طلاء الشفاة هذا بكل حذر ، وحفظته داخل كيس صغير من النايلون ، وأعطته لخبير بصمات خاص بنا ، فرفع عنه بصماتك يا عزيزتى (إليزابيث) ، وأرسلناها بالفاكسيملى إلى (تل أبيب) ، ووصلتنا النتيجة منذ ساعة واحدة ، لتعلن أن هذه البصمات لاتخص (إليزابيث ونستون) ، بل تخص فتاة من المخابرات العامة المصرية .

ومال نحوها مستطردًا فى تلذذ ظافر :
ـ فتاة اسمها (منى توفيق) .
وهوى قلب (منى) بين قدميها .

* * *



٥ ـ مواجهة الخطر ..

كان لعبارة (ليفى) الأخيرة وقع الصاعقة على (منى) ، التى انتفض جسدها فى قوة ، وحدقت فى وجه (ليفى) لحظة ، قبل أن تزدرد لعابها فى صعوبة ، وتقول :
ـ من هذه التى تتحدث عنها أيها السفير ؟.. إننى (إليزابيث وينستون) ، وجواز سفرى يثبت هذا .
أطلق ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يلتقط جواز سفرها البريطانى من درج مكتبه ، قائلًا :
ـ جواز السفر هذا تحفة رائعة بالفعل ، تستحق أن أرسل برقية تهنئة إلى رجلكم .. اسمه (قدرى) على ما أعتقد .. أليس كذلك ؟
حاولت أن تواصل الإنكار ، وهى تقول :
ـ قلت لك إننى ..
قاطعها مواصلًا :
ـ لقد خدعنا الجواز فى البداية بالفعل ، ومازلنا نتطلع إليه فى انبهار كامل ، فلقد تم صنعه ببراعة مذهلة ، ودقة تثير الحيرة والإعجاب معًا ، حتى أن إدارة الجوازات البريطانية نفسها تعجز عن كشف أمره ، لولا شىء واحد .
ومال نحوها مستطردًا :

- الرقم المسلسل .

تطلعت إليه فى صمت ، وقلبها يخفق فى عنف ، فى حين عاد هو يتراجع ، ويشعل سيجارته فى تلذذ ، قبل أن يتابع :

- ولأننى رجل متشكك بطبعى ، فقد طلبت مراجعة الرقم المسلسل ، فى الكمبيوتر الخاص بإدارة الجوازات البريطانية ، وهنا انكشف الأمر أكثر وأكثر ، إذ أن هذا الرقم لم يكن يخص (اليزابيث جون وينستون) ، وإنما يخص مستر (إدوارد هيل) ، الاسكتلندى الأصل .

ونفث دخان السيجارة فى عمق ، مردفا :

- صدقينى يا آنستى .. لقد لعبت مخابراتك اللعبة كما ينبغى ، فكل شىء تم إعداده بدقة بالغة ، ومهارة مدهشة ، وكان من الممكن أن أبتلع الطعم بالفعل ، لولا أننى رجل ذكى .. بل عبقرى مخابرات .

كانت (منى) تستمع إليه فى مرارة ، وأعماقها تحمل قدرا مدهشا من الاحباط والحنق وخيبة الأمل ..

لقد كشف (ميخائيل ليفى) اللعبة كلها ..

كشفها وحطم كل ما خطط له جهاز المخابرات المصرى ، وأنفق فى سبيله عشرات الألوف من الجنيهات ..

ولكن السؤال ، الذى ملأ ذهنها فى هذه اللحظة ، هو : ماذا سيحدث فى الخطوة التالية ؟

هل سيتخلص منها (ليفى) ، أم يلقى القبض عليها ، ليثير

بوجودها فضيحة دبلوماسية ضخمة ، تسمح لبلاده باتهام (مصر) بالتجسس على سفارتها فى (البرازيل) ؟..

ثم ماذا كان (أدهم) سيفعل ، لو أنه فى موضعها ؟..

من المحتم أنه كان سيهاجم (ميخائيل ليفى) ، ويقلب مكتبه على رأسه ، وينسف مبنى السفارة كله ، دون أن يطرف له جفن ..

وكأنما قرأ (ليفى) أفكارها ، فى هذه اللحظة ، فقال بابتسامة ساخرة :

- كنت رفيقة (أدهم صبرى) .. أليس كذلك ؟

لم تجد داعيًا أو فائدة من الإنكار ، بعد كل هذا ، فواجهته بنظرة متحدية ، وهو يتابع :

- لقد وجدنا لدينا ملفًا ضخمًا لك ، إلى جوار ملفه ، الذى أصبح يحمل على غلافه عبارة تقليدية لدينا ، تقول : «تم إغلاقه بمصرع صاحبه» .. لقد انتهى أسطورتكم أيها المصريون .

تمنت لو أخبرته أن (أدهم) مايزال على قيد الحياة ، يواصل صراعه إلى جانب المخابرات المصرية ، على نحو غير رسمى ، ويستمر فى تحطيم أنوف رجال (الموساد) وعملائهم ، فى كل أنحاء الأرض ، ولكنها كتمت هذا فى قلبها ، وقالت :

- (أدهم صبرى) هذا ، الذى تتحدث عنه ، أحنى جباه قادتكم ، وأذل ناصية عمالقتكم .

قال فى حدة :

ـ كان هذا فيما مضى .

ثم ضغط زر جهاز استدعاء صغير على مكتبه ، مضيفًا :

ـ والآن حان دورنا .

سرى التوتر فى جسدها ، مع ضغطة الزر هذه ، وتمنّت لو أنها حملت معها مسدسها الصغير ، وتحفّزت عروقها مع صوت فتح الباب ، والتفتت تتطلّع فى عدوانية إلى (دان جوريل) ، الذى دلف إلى الحجرة بملامحه الجامدة ، واتجه مباشرة إلى (ليفى) ، دون أن يلقى نظرة واحدة عليها ، وقال :

ـ بم تأمر ياسيّدى السفير ؟

أشار (ليفى) إلى (منى) ، وقال فى سخرية :

ـ اصحب السنيوريتا (إليزابيث) إلى الخارج .

لم تكن تتوقع هذا الموقف أبدًا ، لذا فقد حدّقت فى وجهه بشدة ، وهى تقول فى توتر بالغ :

ـ يصحبنى إلى الخارج ؟!

أجابها (ليفى) بابتسامته الساخرة ، وهو يعيد إليها جواز السفر البريطانى :

ـ بالطبع يا عزيزتى .. هزيمتكم وحدها تسعدنى ، ثم إنكم أهديتم إلىّ عملتين نادرتين ، يساويان ثروة طائلة ، داخل علبة مخملية مدهشة ، سيضمُّها حتمًا دولاب التحف الخاص بى ، بعد أن يفسد الخبراء عمل جهاز التصنّت داخلها ، فما الذى أطلبه أفضل من هذا .

وقفت تتطلّع إليه فى حنق شديد ، ثم استندت إلى سطح مكتبه ، وقالت :

ـ إنها مجرّد جولة يا (ليفى) .

قهقه ضاحكًا فى سخرية ، وهو يقول :

ـ بل هى نهاية المباراة يا عزيزتى .. وداعًا .. بلغى تحياتى للمخابرات المصرية .

اعتدلت فى توتر ، فأمسك (دان) بذراعها ، قائلًا :

ـ تفضّلى معى ياسنيوريتا .

تبعته فى استسلام إلى الخارج ، فى حين عاد (ليفى) يتطلّع إلى العملتين فى انبهار وسعادة ، مغمغمًا :

ـ رائع .. أروع مما تمنيت بكثير .

بقى دقائق يتطلّع إلى العملتين فى سعادة غامرة ، حتى سمع دقات خافتة على باب مكتبه ، فقال دون أن يرفع عينيه عنهما :

ـ ادخل يا (دان) .

عبر (دان) باب الحجرة ، واتجه إليه فى خطوات سريعة كعادته ، وقال :

ـ كل شىء على مايرام ياسيّدى السفير .

رفع (ليفى) عينيه إليه ، وقال :

ـ هل رحلت ؟

أجابه (دان) :

ـ نعم .. استقلّت واحدة من سيارات الأجرة إلى فندقها ،

وقائد السيارة أحد رجالنا ، وسيراقبها الآخرون هناك فى الفندق ، وسيتم تسجيل كل محادثاتها الهاتفية ، ولكن ..

لم يستطع إتمام عبارته ، فأغلق (ليفى) علبة العملتين ، ووضعها فى درج مكتبه ، وهو يسأله :

- ولكن ماذا يا (دان) ؟

تردد (دان) لحظة ، ثم اندفع يقول :

- ولكننى كنت أفضل أسلوبًا آخر ياسيدى السفير .. معذرة .

تراجع (ليفى) فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، قائلًا :

- وما هذا الأسلوب الآخر ؟

قال (دان) :

- إنها تنتمى إلى المخابرات المصرية ، ونحن أوقعنا بها هنا ، وكان ينبغى أن نقبض عليها ، ونرسل جثتها إليهم ، فى صندوق دبلوماسى ، أو نأسرها ، ونبعث بها إلى (تل أبيب) ؛ لاستجوابها ، وانتزاع ما لديها من معلومات ، لا أن نسمح لها بالخروج ، ونكتفى بمراقبتها

ابتسم (ليفى) ، وقال :

- أسلوب تفكيرك يروق لى يا عزيزى (دانى) ، ولكن من الواضح أنك لاتمتلك نفس خبرتى فى عالمنا .. لقد أتت هذه المصرية إلينا على قدميها ، ونحن لانعلم ما إذا كان لها أعوان أم لا ، ومن المحتم أن نراقبها أولًا ، قبل أن نتخلص منها ، ثم إننى أحب أن تخبر رؤساءها بفشل خطتهم أولًا ، وبعدها ..

فرفع سبابته وإبهامه ، واتسعت ابتسامته الوحشية ، وهو يستطرد :

- يصبح الباقى سهلًا .

سأله (دانى) فى اهتمام :

- أتعنى أننا سننتظر حتى تبلغ (القاهرة) بما حدث ، ثم ..

أكمل (ليفى) ، وعيناه تبرقان ببريق مخيف :

- ثم نذبحها ذبحًا يا صديقى ..

وأشعل سيجارة أخرى فى استمتاع ..

* * *

استقبل موظف الاستقبال بفندق (بلازا) (منى) ، عند عودتها إلى الفندق ، وهو يقول بابتسامته العريضة :

- مرحبًا ياسنيوريتا (وينستون) .. لقد أخلينا لك جناحًا آخر ، وتم نقل حقائبك إليه .

قالت فى مرارة :

- تقصد ما تبقى منها .

ثم أضافت فى ضيق :

- هل يمكننى إرسال برقية من هنا ؟

أجابها وهو يناولها ورقة وقلمًا :

- بالتأكيد ياسنيوريتا .. بالتأكيد .

خطت بضع كلمات على الورقة فى سرعة ، ثم ذيلتها بتوقيعها ، ودفعتها إليه قائلة :

- أريد إرسالها الآن ، على العنوان المذكور بها .

قال بابتسامته النمطية :

- سأعمل على إرسالها فورًا ياسيّدتي .

أعطاها مفتاح الجناح الجديد ، وراقبها وهي تستقل المصعد إليه ، ثم تلاشت ابتسامته في سرعة ، والتقط سمّاعة الهاتف ، وطلب رقمًا خاصًا ، وقال :

- صباح الخير ياسنيور (دان) .. إنّه أنا .. نعم .. في فندق (بلازا) .. لقد عادت السنيوريتا الآن ، وأرسلت برقية مختصرة ، إلى عنوان في (لندن) .. نعم .. سأقرؤها عليك .. إنها تقول : «تحطمت آلة التصوير .. سأعود فورا» وهذا هو العنوان ..

أملاه العنوان المدون بالورقة ، ثم سأله في اهتمام

- هل أرسلها ؟.. نعم ياسيّدي .. سأفعل بالتأكيد .

وانخفض صوته ، وهو يتابع هامسًا :

- ولكنك لن تنسى مكافأتي .. أليس كذلك ياسنيور (دان) ؟

أجابه (دان) في برود ، من الجانب الآخر للخط :

- بالطبع يارجل .. اطمئن .

ثم أنهى المحادثة ، وانتقل إلى حجرة (ليفي) ، وناوله ورقة ، نقل عليها نصّ البرقية ، وهو يقول :

- لقد أرسلت هذه البرقية ، إلى مكتبهم في (لندن) .

قرأ (ليفي) نصّ البرقية في اهتمام بالغ ، ثم ابتسم في ظفر ، قائلًا :

- عظيم .. إنها برقية بشفرة بسيطة للغاية ، فتحطم آلة التصوير يعني فشل المهمة .. هذا رائع .

وألقى الورقة على سطح مكتبه ، وهو يضيف في جذل :

- الآن فقط يمكننا الانتقال إلى الجزء الأخير من الخطة .

وتحوّلت ملامحه بغتة إلى شكل مخيف ، وهو يتابع في صرامة :

- اسحقها يا (دان) .. اسحقها سحقًا .

بدا الارتياح على وجه (دان) ، وهو يقول :

- بالتأكيد ياسيّدي السفير .. بالتأكيد .

وانصرف بسرعة لينفذ الأمر ..

وليسحق (منى) .

يسحقها سحقًا .

* * *

بقيت (منى) في حجرتها بالفندق ، منذ صعدت إليها ، وحتى المساء ، دون أن تغادرها قط ، أو حتى تتطلّع عبر نافذتها الكبيرة ، وتصوّر العاملون بالفندق ، ورجال (الموساد) الذين يراقبونه ، أن الهزيمة والتعب قد انهكاها ، فاستغرقت في نوم عميق ..

ولكن الواقع كان يختلف كثيرًا ..

لقد قضت وقتها كله تنتزع قطعًا صغيرة من حقائبها المحطّمة ، وتربطها ببعضها البعض في دقة وعناية ، وراح

يتكون أمامها جسم نصف مستدير ، فى حجم طبق عادى ، وهى تضيف إليه قطعًا أخرى ، حتى غربت الشمس ، وهى توصله بالتيار الكهربى ، ثم تراجعت تتأمله فى ارتياح ، وقالت لنفسها :

- عمل رائع يا (منى) .. كان المفروض أن تكونى مهندسة اليكترونيات ناجحة .

ثم ضغطت زرًا صغيرًا ، وأدارت مؤشرًا إليكترونيًا صغيرًا ، حتى انبعث من الجهاز صوت (ميخائيل ليفى) ، وهو يتحدث هاتفيًا . فابتسمت مغمغمة :

- لو أنك هنا الآن لأصابتك أزمة قلبية عنيفة أيها الوغد . فلن تتخيل أبدًا أن خبراء المخابرات المصرية وضعوا خطة بديلة ، فى حالة كشفك للخطة الأولى ، ومن سوء طالعك أنك لم تنتبه إلى أننى نزعت فصّ خاتمى ، وألصقته أسفل حافة مكتبك ، عندما استندت إليه ، وهكذا أصبح عندنا جهاز تصنت ممتاز ، ينقل كل حرف تتفوه به فى مكتبك ، على الرغم من كشفك وجود الجهاز الأول .

أوصلت جهاز الاستقبال هذا بجهاز تسجيل صغير ، واسترخت فى مقعدها فى ارتياح كبير .

صحيح أن الخطة الرئيسية قد فشلت ، ولكن الخطة البديلة نجحت نجاحًا مناسبًا ، وأصبح جهاز التصنت صالحًا للعمل . داخل مكتب (ليفى) ، ويمكنها تسجيل كل حرف ينطق به هناك ، بعد أن انتهت من تركيب جهاز الاستقبال هذا ..

وفى أعماقها شعرت برغبة عميقة فى الاحتفال بهذا النجاح ، على الرغم من محدوديته ، فنهضت ترتدى ثيابها ، واستقلت المصعد إلى بهو الفندق ، وسألت موظف الاستقبال :

- هل من رسائل أو برقيات ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول بابتسامته العريضة :

- كلا ياسنيوريتا ، لايوجد شىء من هذا القبيل .

همّت بالانصراف ، ولكنه استوقفها فى سرعة :

- ولكن هناك سنيور يرغب فى مقابلتك .

التفتت إليه ، قائلة فى تساؤل :

- سنيور ؟

أشار إلى ركن انتظار صغير ، وهو يجيب :

- نعم .. سنيور (لوبيز) .. مفتش الشرطة .

التفتت إلى حيث يتطلّع ، ووقع بصرها على رجل متين البنيان ، أصلع الرأس ، كث الشارب على نحو مبالغ ، ونهض الرجل فور رؤيتها ، وتقدّم إليها مادًا يده ، وهو يقول :

- مساء الخير ياسنيوريتا (وينستون) .. أنا المفتش (لوبيز) ، من القسم الجنائى .

صافحته وهى تسأله فى قلق :

- وما الخدمة التى يمكننى تقديمها إليك ياسنيور (لوبيز) ؟

لوّح بكفه ، قائلًا :

- إنه استجواب بسيط ياسنيوريتا ، بشأن الحادث الذى تعرّضت له حجرتك . لقد تلقيت تقريرًا من مسئول الأمن هنا ،

وأريد إلقاء بعض الأسئلة عليك ، مع مشاهدتك لبعض صور المشبوهين .

كانت تشعر بالضجر ، من هذه الإجراءات الروتينية السخيفة ، ولكنها قالت :

ـ لابأس أيها المفتش ، سأحضر إلى مكتبك فى الصباح الباكر ، و..

قاطعها فى شىء من الحزم :

ـ معذرة ياسنيوريتا ، ولكننا نعتبر هذا أمرًا بالغ الخطورة ، ولايمكننا تأجيله إلى الغد .

قالت فى ضيق :

ـ ولكننى مرتبطة بموعد آخر ، و ..

قاطعها هذه المرة فى حزم كامل :

ـ الآن ياسنيوريتا .

زفرت فى حنق ، وقالت :

ـ لابأس أيها المفتش ، ولكننى أبغض بيروقراطيتكم السخيفة هذه .

أشار إليها لتسير معه إلى الخارج ، وهو يقول :

ـ لست أنا من وضع هذه القواعد ياسنيوريتا .. إننى مرتبط بتنفيذها فحسب ، وهذا يضطرنى إلى اصطحابك إلى قسم الشرطة على الفور ، لإتمام الاستجواب وحسم محضر الحادث ، ولكن اطمئنى تمامًا ، لن يستغرق هذا أكثر من ساعة واحدة .

قالت فى سخرية محنقة :

ـ هذا مايقوله البيروقراطيون عادة ، ومايعجزون عن تنفيذه .

صحبته فى سخط إلى سيارة الشرطة ، التى تقف أمام الفندق ، وانطلقت بهم السيارة عبر شوارع برازيليا ، دون أن يتبادلا حرفًا واحدًا ، إلا أن القلق بدأ يتسرب إلى نفس (منى) ، عندما انحرفت السيارة فى عدد من الشوارع الفرعية الضيقة ، فقالت فى توتر :

ـ إلى أين نذهب؟

أجابها المفتش فى برود :

ـ إلى قسم الشرطة .

استعاد عقلها فجأة تجربتها السابقة ، مع سائق سيارة الأجرة ، فهتفت فى حدة :

ـ توقف هنا .. أريد العودة إلى الفندق .

ولكن السائق انحرف فى شارع أكثر ضيقًا ، وهو يقول فى سخرية :

ـ لم يعد هذا ممكنًا ياسنيوريتا .

قالها وضغط فرامل السيارة فى هدوء ، فانخفضت سرعتها ، وهى تتجه نحو مبنى من طابقين ، يسد الطريق عند نهايته ، فى نفس اللحظة التى انتزع فيها المفتش مسدسه ، وألصقه برأس (منى) ، قائلاً :

- لقد بلغنا نهاية الطريق ياسنيوريتا .. ويمكنك هنا مغادرة السيارة .

تحركت فى سرعة ، ومالت برأسها جانبًا ، ثم ضربت معصم المفتش بقبضتها ، ودفعته فى صدره بقدمها ، فى ضربة عنيفة مباغتة ، فارتطم بباب السيارة فى قوة ، فى حين فتحت هى الباب الآخر ، وقفزت خارج السيّارة ، وهمّت بالعدو مبتعدة ..

ولكن فجأة أدركت طبيعة الفخ ..

كان هناك أربعة رجـال أشداء يسدّون مدخل الشارع بأجسادهم الضخمة القوية ، وعضلاتهم المفتولة ، وبيد كل منهم سلسلة فولاذية ، ذات حلقات ضخمة ثقيلة ، يلوّح بها فى الهواء ، وهم يتقدمون نحوها فى تحفّز ..

وعندما استدارت إلى الجانب الآخر ، رأت أربعة آخرين يخرجون من المبنى ، وكل منهم يحمل هراوة ضخمة ، والشر يطلّ من عيون الجميع ..

وفى عصبية ، قال المفتش (لوبيز) ، وسيارته تعود إلى الخلف ، وتخرج من الشارع :

- هنا تنتهى مهمتى أيها السادة ، ولاتنسوا مكافأتى .

وابتعدت سيارة الشرطة فى سرعة ، والرجال الثمانية يطبقون على (منى) من الجانبين ، وهى تنقل بصرها بينهم فى توتر وقلق بالغين ..

كان من الواضح أنهم لن يكتفوا بقتلها..


وهمت بالعدو مبتعدة ، و ..
ولكن فجأة أدركت طبيعة الفخ ..

سيمزقونها إربًا ، قبل أن يفعلوا ..

وفى حركة عصبية ، اتخذت وضعًا قتاليًا ، والرجال يطبقون عليها فى بطء ، ثم قالت فى حدة :

ـ إننى أحذركم .. سترتكبون خطأ فادحًا .

ابتسم الرجال فى سخرية ، وتبادلوا نظرة مستهترة ، قبل أن يلوّح أحدهم بسلسلته الفولاذية ، صارخًا :

ـ الآن ..

ولم يكد ينطق كلمته ، حتى انطلقت من الحناجر الثمانية صرخة قتالية رهيبة ، وانقضّ الرجال كلهم على (منى) دفعة واحدة ، وفى أعماقهم هدف واحد ..

تمزيقها إربًا .

* * *



٦ ـ الرجل ..

أشارت عقارب الساعة إلى تمام الثانية صباحًا فى (القاهرة) ، عندما استيقظ (قدرى) من نومه العميق ، على رنين جرس منزله المتصل ، وتثاءب فى حنق ، وهو يتجه نحو الباب هاتفًا :

ـ رويدك يا من بالباب .. إننى أحتاج إلى بعض الوقت ، حتى أصل إليك .

تثاءب مرة أخرى ، قبل أن يفتح باب شقته ، ويحدّق فى وجه الطارق لحظة ، ثم يهتف فى دهشة :

ـ (حسام)؟!.. ما الذى أتى بك الآن؟

ابتسم (حسام) ، وهو يقول :

ـ ألن تدعونى إلى الدخول أوّلًا؟.. أصول اللياقة تقتضى هذا .

تطلّع إليه (قدرى) لحظة فى حيرة ، ثم أفسح له الطريق ، قائلًا :

ـ بالطبع .. تفضّل يا (حسام) .

دلف (حسام) إلى المنزل بخفة ، فأغلق (قدرى) الباب ، والتفت إليه قائلًا :

ـ ماذا هناك بالضبط؟

أجابه (حسام) على الفور :
ـ إننى أفكر فى السفر إلى (البرازيل) .
سأله فى دهشة :
ـ لماذا؟
أجابه (حسام) فى توتر:
ـ لأعمل على حماية (منى) .
حدق (قدرى) فى وجهه لحظة بدهشة ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة ، وهو يقول :
ـ يالك من شاب :
قال (حسام) فى عصبية :
ـ إننى أحبها يا (قدرى) .. أعلم أنها لاتحبنى ، وأنها غارقة حتى أذنيها فى حب رجل آخر .. رجل أعلم أنه على قيد الحياة ، فى مكان ما من العالم ، وأنه أنقذ حياتى ، وينبغى أن أدين له بالشكر والامتنان ، ولكننى أحبها ، ولا أستطيع النوم ، وأنا أرقد هنا فى (القاهرة) ، فى حين تواجه هى الخطر هناك .. لابد أن أكون إلى جوارها يا (قدرى) ، وأن أمنحها الحماية والرعاية والأمان .. لابد يا (قدرى) .. لابد.
شعر (قدرى) بمزيج من الإعجاب والإشفاق ، وهو يتطلع إلى (حسام) ، ثم قال فى خفوت:
ـ لاتقلق بشأن (منى) .
لوّح (حسام) بكفه ، وهو يقول فى حدة :
ـ لاتقل لى إنها تنتمى إلى المخابرات المصرية ، فأنا

لا أجهل هذا ، ولكننى أشعر بحاجتها إلى الحماية .. صدقنى يا (قدرى) .. الفتيات لاتصلحن لمثل هذه المهام البالغة الخطورة .
تردد (قدرى) لحظة ، ثم قال :
ـ قلت لك لاتقلق بشأنها .
التقى حاجبا (حسام) ، وهو يتطلع إليه فى حيرة ، ثم قال :
ـ هناك شىء لاأفهمه يا (قدرى) .. إنك تهتم كثيرًا بـ(منى) ، وتعاملها دائمًا كما لو كانت ابنتك ، أو شقيقتك الصغرى ، فكيف يتفق هذا مع عدم قلقك عليها ، على الرغم مما تواجهه من مخاطر فى (برازيليا) .
هزّ (قدرى) كتفيه ، وقال :
ـ ربما كانت لدىّ أسبابى .
أمسك (حسام) كتفه ، وتطلّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يسأله :
ـ وما هى هذه الأسباب؟
لم يجب (قدرى) ، وإنما اكتفى بابتسامة عريضة ، كانت تملأ وجهه المكتنز كله ..
ابتسامة لها طعم الثقة .
ورائحة الغموض ..

* * *

انتفض قلب (منى) بين ضلوعها فى قوة ، مع تلك الصرخة الرهيبة ، التى انطلقت من حناجر الرجال الثمانية ، وهم

يتقضّون عليها ، وأدركت أنها ، مهما بلغت من القـوة والمهارة ، لن تستغرق بين أيديهم أكثر من دقائق معدودة ، تتحوّل بعدها إلى أشلاء بشرية ممزّقة ..

ولكن فجأة سطع ضوء مبهر ، وانطلق صوت صارم آمر يقول :

ـ قفوا ..

تجمّد الرجال الثمانية فى أماكنهم ، مع تلك الصيحة ، التى نطقها صاحبها بلهجة هى الصرامة ذاتها ، وبصوت تجمّدت له الدماء فى العروق ، مع سطوع الضوء المباغت ، وخفق قلب (منى) فى قوة ، وهى تتطلّع إلى ذلك الشخص ، الذى أطلق الصيحة ، وهو يسير نحوهم فى بطء ، ومصباحا سيارة قويان يسطعان خلفه ، ويخفيان ملامحه تمامًا ، حتى لقد بدا أشبه بشبح أسود ممشوق القوام ، عريض المنكبين ، تعلّقت به عيون الجميع ، وهو يتقدّم فى خطوات هادئة واثقة ، إلى أن قال أحد الرجال الثمانية فى خشونة وغلظة :

ـ امض فى طريقك يارجل ، ولاتتدخّل .. لاشأن لك بما يحدث هنا .

أجابه الشبح بالأسبانية ، وبلهجة ساخرة :

لن يمكننى هذا أيها الوغد ، فأنا أميل إلى دسّ أنفى عادة ، فى شئون الآخرين .

خفق قلب (منى) فى قوة ، وحاولت أن تمدّ بصرها ، عبر الضوء الساطع ، لتحدّق فى وجه الشبح ، فى حين لوّح الرجل بسلسلته الفولاذية فى غضب ، وهو يقول محنقًا :

ـ إذن فأنت تحتاج إلى من يكسر أنفك .

قالها وانقضّ على الشبح ، وهوى بالسلسلة الثقيلة على رأسه ، بكل مايملك من قوة ، ولكن الشبح تفادى الضربة فى يسر وخفة ، كما لو أنه يتدرّب منذ مولده على هذا ، فاختلّ توازن الرجل ، ومال جسده فى شدة ، فاعتدل الشبح بحركة مباغتة ، وهوى على أنفه بلكمة كالقنبلة ، وهو يقول ساخرًا :

ـ أتقصد أنفك أم أنفى .

تراجع الرجل مع الضربة القوية ، وارتطم بزميل له ، فسقطا معًا أرضًا ، فى حين اعتدل الشبح ، وقال بلهجته الساخرة اللامبالية :

ـ حسنًا أيها الأوغاد .. من التالى .

وكانت إشارة البدء ..

لقد أطلق الجميع صرخات قتالية مخيفة ، ثم انقضوا عليه ، ولكنه تحوّل بغتة إلى كتلة من النشاط والحيوية ، على نحو متفجّر ، فهوت قبضته اليمنى على فك أقربهم إليه وانقضت اليسرى على أنف الثانى ، وغاصت قدمه فى معدة ثالث ، والقدم الثانية بين ساقى رابع ..

كل هذا حدث فى آن واحد تقريبًا ، قبل أن تدخل (منى) دائرة القتال ، بركلة حطّمت بها أنف الخامس ، وهى تهتف :

ـ مرحى .. لقد عادت الأيام القديمة .

وقع بصرها لأول مرة على وجه الشبح ، عندما وقع الضوء عليه ، وهو يلكم السادس فى معدته ، وبدا لها شابًا أشقر الشعر ، قصير اللحية والشارب ، أزرق العينين ، وعلى الرغم



ولثت يدها بين أصابعه فى سعادة وارتياح ، دون أن تنبس ببنت شفة ،
وتركته يعود بها إلى سيارته ..

من هذا فقد كانت واثقة من أنه هو ..

ملاكها الحارس ..

رفيق قلبها الوحيد ..

كانت واثقة من أنه (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

أما من تبقى من الرجال الثمانية ، فقد أدرك أنه لاقبل له بمواجهة هذا القادم الجديد ، حتى ولو كان يجهل من هو ، فاختطف من جيب قميصه جهازًا لاسلكيًا صغيرًا ، وصاح فيه :

- النجدة يارفاق.. إنه كمين.. ارسلوا إمدادات، قبل أن ..

ولم يمكنه إكمال عبارته ، بسبب تلك الأسنان التى تناثرت فى فمه ، إثر لكمة كالقنبلة ، من قبضة (أدهم) ، الذى انتزع قبضته من فك الرجل ، ومدها إلى (منى) قائلًا :

- هيا .

وثبت يدها بين أصابعه فى سعادة وارتياح ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وتركته يعود بها إلى سيارته ، ويدير محركها فى بساطة ، وكأنه يدعوها إلى نزهة رقيقة ، فى جو هادئ لطيف ، على الرغم من ظهور خمسة من الرجال الأشداء من المبنى ذى الطابقين ، وسطوع مصابيح سيارتين تقبلان مسرعتين ، مما يؤكد أنهما تحملان تلك الإمدادات ، التى طلبها المجرم ، قبل أن يفقد وعيه ..

وهتفت (منى) :

- إنهم يحاصروننا من الجانبين .

أجابها (أدهم) فى هدوء ، يحمل رنة ساخرة :

- من سوء حظهم .

ثم انطلق بسيارته فى وجه السيارتين القادمتين ، وحبست (منى) أنفاسها ، وهى تشاهد اقتراب السيارتين فى سرعة مذهلة ، فى حين بقى (أدهم) هادئا كعادته ، وكأنه يؤدى عملا يوميًا روتينيًا ..

أما سائقا السيارتين ، فقد اتسعت عيونهما فى هلع ، وهتف أحدهما ، وهو يميل بسيارته جانبًا فى عنف :

- ماذا يفعل هذا المجنون؟

أما زميله ، فقد أدرك أن خصمه يلعب لعبة تعتمد على الجسارة وقوة الاحتمال ، فالأكثر قوة وجرأة ، هو الذى سيواصل طريقه ، ويزيح خصومه عن وجهه ..

وهو ليس الأكثر جرأة حتمًا ..

لقد انحرف بدوره ، مفسحًا الطريق أمام سيارة (أدهم) ، فارتطمت إطارات سيارته بالافريز ، ووثبت وثبة بالغة الخطورة ، ثم ارتطمت ببناية قريبة ، واشتعل خزان الوقود بها ، و ..

ودوى الانفجار ..

ومن قلب الانفجار ، انبعثت سحابة هائلة من اللهب ، فى وجه سيارة (أدهم) ، فصرخت (منى) :

- احترس يا (أدهم) .

ولكن (أدهم) لم يخفف من سرعته ، وإنما تابع انطلاقته بأقصى سرعته ، ومرق بالسيارة عبر اللهب ، وتصاعدت إلى أنف (منى) رائحة الكاوتشوك المحترق ، وأصدر زجاج السيارة فرقعة خافتة ، قبل أن تتجاوز السيارة تلك الجحيم المحدود ، وتواصل انطلاقها عبر الطريق ..

وفى غضب هادر ، أوقف سائق الثانية سيارته ، دار بها نصف دورة ، وهو يهتف محنقًا :

- ذلك الحقير .. لقد تسبب فى مصرع (موری) .

استل رفيقاه فى السيارة مدفعيهما الآليين ، فى حين انطلق هو بأقصى سرعته خلف سيارة (أدهم) ..

ورأت (منى) السيارة ، التى تطاردهما فى استماتة ، فتطلعت إلى (أدهم) فى قلق ، وأدهشها ذلك الهدوء العجيب المرتسم على وجهه ، وهو يراقب اقتراب السيارة فى مرآة سيارته ..

ولكن فجأة هبطت عليها سكينة عجيبة ، جعلتها تسترخى فى مقعدها ، وتسبل جفنيها فى صمت ..

لقد عاد (أدهم) ، وهو سيفعل - حتمًا - أفضل مما يمكن أن تفعله هى ..

ومن أعماقها ، تصاعد ذلك الشعور الجميل بالأمان والارتياح ، عندما يكون هو إلى جوارها ، يذود عنها ، ويقاتل من أجلها ..

ولم تعد تبالى بالسيارة التى تطاردهما ، بل تجاهلتها تمامًا ، حتى سمعت (أدهم) يقول :

ـ اخفضى رأسك ..

أطاعته فى حركة سريعة ، وسمعت دوى الرصاصات من خلفها ، ثم صوت زجاج السيارة الخلفى ، وهو يتهشم ، ثم صوت الرصاصات التى عبرته ، وهى ترتطم بالزجاج الأمامى ، وتصنع به عددًا من الثقوب ، قبل أن ينهار كفتات من السكر ..

ثم انحرف (أدهم) على نحو مباغت ، وضغط فرامل سيارته ، وترك السيارة الثانية تتجاوزه ببضعة سنتيمترات ، ثم انحرف فى الاتجاه الآخر فى عنف ، وضرب الجانب الأيمن من حقيبتها الخلفية ، واستل مسدسه ، وأطلق منه رصاصة على إطارها ، وتركها تدور حول نفسها ، ثم اتخذ طريقًا جانبيًا ، وانطلق مبتعدًا عنها ، وهو يعيد مسدسه إلى جيبه فى هدوء ، فاعتدلت (منى) جالسة ، ومالت نحوه فى سعادة ليس لها من مثيل ، وهتفت :

ـ هكذا أنت دائمًا .. تظهر فى الوقت المناسب؛ لتذود عنى ، وتنقذنى من بين أيدى الأشرار .

قال فى ارتياح ، وهو يتأمل عينيها :

ـ هذا من حسن حظى .

تراجعت لتهتف فى تساؤل :

ـ ولكن كيف جئت إلى هنا ؟.. وكيف عثرت علىّ ؟

غمز بعينه ، وهو يقول فى مرح :

ـ خمنى .

وعجزت عن التخمين تمامًا ، ولم يمكنها أن تجد وحدها جواب ذلك السؤال ، الذى ملأ عقلها ونفسها ، منذ وقعت عيناها على (أدهم) ..

من أخبره بأمرها ، وأرسله إليها ؟..

من ؟..

* * *

« اجلس يا (قدرى) .. »

نطق مدير المخابرات المصرية هذه العبارة القصيرة ، وهو يبتسم فى هدوء ، بعد دقائق من انصراف (منى توفيق) من مكتبه ، بعد أن كلفها المهمة ، وانتظر حتى اتخذ (قدرى) مجلسه ، على أريكة أمام المكتب ، واعتدل فى مكتبه ، وهو يقول :

ـ لقد أرسلت (منى) فى مهمة إلى (البرازيل) .

تطلع إليه (قدرى) فى تساؤل ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فأضاف المدير ، وهو يلوح بكفه :

والواقع أنها مهمة بالغة الخطورة بالفعل .

كانت أول مرة يتحدث إليه فيها المدير ، بشأن مهمة ما ، فتنحنح ، وسأله فى حرج :

ـ وهل تحتاج الرائد (منى) إلى أية أوراق خاصة ؟

ابتسم المدير ، وقال :

- لقد منحناها جواز سفر بريطانيًا ، من تلك الجوازات التى صنعتها لنا ، ولست أظنها تحتاج إلى أوراق أخرى .

تضاعفت حيرة (قدرى) ، وهو يقول :

- ما المطلوب منى بالضبط إذن؟

هزّ المدير كتفيه ، وقال :

- لاشىء يا عزيزى (قدرى) .. إننا نتبادل الحديث فحسب .

تطلع إليه (قدرى) فى شك وحذر ، واحتفظ بصمته ، فى انتظار أن يفصح المدير عن المزيد ، فتراجع هذا الأخير فى مقعده ، وقال :

- لو نظرنا إلى الأمور من الناحية العملية ، لوجدنا أن (منى) ليست مؤهلة تماما لمثل هذه المهمة .. صحيح أنها تعمل فى صفوف المخابرات منذ فترة ، وصحيح أيضا أننا سنمنحها خطة تفصيلية للعمل ، وخطة بديلة كالمعتاد ، ولكن طبيعة المهمة لاتحتاج إلى هذا ، بقدر ماتحتاج إلى عقلية مرنة ، يمكنها ابتكار وتجديد الأساليب والخطط ، تبعا لمقتضيات الظروف ، كما تحتاج إلى مقاتل صنديد ، لايشق له غبار ، يمكنه أن يترك أثرا عنيفا فى نفوس الأعداء ، بالإضافة إلى نجاحه فى مهمته ، وهذا ماتفتقر إليه (منى) .

وهنا بدأ (قدرى) يفهم مايعنيه المدير ، ومايرمى إليه من لقائه ، فقال فى حذر :

- كأنى بك تتحدث عن (أدهم صبرى) .

برقت عينا المدير ، وهو يقول :

- بالضبط .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وتابع فى حماس :

- لو أن (أدهم) على قيد الحياة ، ولو أنه مايزال يعمل فى صفوفنا ، لما وجدت من هو أفضل منه ، للقيام بمثل هذه المهمة .

تردد (قدرى) لحظة ، قبل أن يقول :

- هناك شائعة تقول : إنه مايزال على قيد الحياة فى (المكسيك) .

ابتسم المدير ، وقد أدرك أن (قدرى) التقط طرف الخيط ، وسيجاريه فى حديثهما ، مما شجعه على القول :

- أنا أيضا سمعت هذه الشائعة ، وأميل إلى تصديقها ، ولكن كيف السبيل إلى الاتصال بـ(أدهم صبرى) هناك ؟

بدأ (قدرى) يعتدل فى مجلسه ، وهو يهزّ كتفيه الممتلئتين ، قائلا :

- ربما كان هناك من يمكنه الاتصال به .

لوّح المدير بسبابته ، وقال :

- ليست هذه هى المشكلة الفعلية ، ولكن المشكلة تكمن فى (أدهم) نفسه ، فهناك حتما سبب ما ، يمنعه من إعلان وجوده على قيد الحياة ، إذن فليس من السهل إقناعه بالقيام بالمهمة ، بصورة غير رسمية ، ولكن ..

بتر عبارته ، وهو يبتسم ابتسامة غامضة ، فسأله (قدرى) ، وقد امتلأت نفسه بالفضول :

- ولكن ماذا ياسيّدى ؟

أجاب المدير بنفس الابتسامة الغامضة :

- ولكن لو أن (منى) تتعرّض لخطر فى مهمة خاصة بها ، فمن المؤكّد أنه لن يتردّد فى الانضمام إليها ، وحمايتها من أى خطر كان .

ابتسم (قدرى) ، وقال :

- فهمت ياسيّدى ، فلو أخبر شخص ما (أدهم صبرى) ، بما تواجهه (منى) ، لضمنّا إقحامه فى المهمة تمامًا .

اتسعت ابتسامة المدير ، وهو يقول :

- بالضبط ..

وهذا ماكان ..

* * *

هتفت (منى) فى دهشة ، وهى تجلس إلى جوار (أدهم) ، فى سيارة هذا الأخير :

- (قدرى) أخبرك هاتفيًا ؟!.. وكيف علم (قدرى) بهذا ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء :

- لقد اتصل بى فى (كيواوا) ، وأبلغنى كل شىء ، ولست أدرى كيف علم ماعلم ، ولكننى هرعت إلى هنا ، وأقمت فى فندق (بلازا) ، الذى تقيمين فيه ، ورحت أراقبك طيلة الوقت ، حتى التقينا .

قالت فى دهشة بالغة :

- أتقيم فى فندق (بلازا) ؟!.. كيف ؟.. إننى حتى لم ألمحك هناك !

ابتسم قائلًا :

- إننى لاأقيم بوجهى هذا ، ولاحتى باسمى ، أو باسم (أميجو صانتدو) ، بل بوجه واسم جديدين .

سألته فى لهفة :

- باسم من إذن ؟

قال ضاحكًا :

- ليس هذا هو المهم الآن ، فأنا أريد منك أن تسردى على مسامعى كل ماحدث لك ، منذ وصلت إلى هنا ، وحتى هذه اللحظة ، وبأدق التفاصيل ، كما لو أنك تكتبين تقريرًا للإدارة ، وبعدها سندرس الموقف ، ونعلم كيف يمكننا التحرّك ، فى المرحلة القادمة من الصراع .

انطلقت تروى له ماحدث ، وبكل التفاصيل الدقيقة ، وهو يستمع إليها فى اهتمام بالغ ، ويلقى عليها بعض الأسئلة التوضيحية ، حتى انتهت من روايتها ، فلاذ بالصمت لحظات ، وهو يفكّر فى عمق ، قبل أن يعتدل قائلًا :

- أظن أن أفضل مانفعله الآن هو أن تعودى إلى الفندق ، وتواصلى لعب دور (إليزابيث وينستون) .

قالت فى دهشة :

- ولكن (ميخائيل ليفن) يعلم جيدًا أننى (منى توفيق) ، ولست (إليزابيث وينستون) .

بدا الجذل فى ملامحه ، وهو يقول :

ـ لابأس .. دعينا نلعب بأوراق مكشوفة .

ابتسمت قائلة :

ـ كالمعتاد .

وعندما هبطت من سيارته عند الفندق ، كانت تعلم أن جولة جديدة من الصراع قد بدأت ، وأنها ستكون جولة خطيرة .. وحاسمة .

* * *



٧ ـ الغضب ..

التقى حاجبا (ليفى) فى غضب جنونى ، وهو يصرخ فى وجه (دان) :

ـ ماذا ؟!.. فشلوا فى قتلها ؟.. أتعنى أن فتاة مصرية واحدة ، قد نجحت فى هزيمة دستة كاملة من رجالنا وحدها .

قال (دان) فى توتر ملحوظ ، تجاوز ملامحه الجامدة :

ـ إنها لم تكن وحدها .

حدق (ليفى) فى وجهه بغضب ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى بأنها لم تكن وحدها ؟

أجابه (دان) :

ـ تقرير رجالنا يقول إن شابًا أشقر الشعر ، له شارب ولحية قصيران ، قد تدخل فى القتال ، وقلب الموازين كلها .

هتف (ليفى) مستنكرًا :

ـ شاب واحد ؟! .. أتتصوَّر هذا اعتذارًا مناسبًا ، أو عذرًا مقبولاً .. شاب واحد ينضمُّ إلى فتاة واحدة ، فيقلب موازين قتال ، اشترك فيه فريق كامل من رجالنا ؟! .. ألا يبدو لك هذا أكثر من سخيف .

قال (دان) :

ـ بل يبدو لى مقلقًا ياسيِّدى ، وأظن أن هذا القلق يمكن أن ينتقل إليك أيضًا ، عندما تطالع تقرير هؤلاء الرجال .

التقط (ليفى) التقرير من بين أصابع (دان) فى غضب ، وقبل أن يلقى نظرة واحدة عليه ، ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فالتقط سماعته ، وقال فى خشونة :

- من المتحدث ؟

أتاه صوت أحد رجال أمن السفارة ، وهو يقول :

- هناك فتاة بريطانية تطلب التحدث إليك ياسيدى السفير ، وتقول : إن الأمر هام وعاجل .

التقى حاجبا (ليفى) فى توتر ، وهو يقول :

- فتاة بريطانية ؟! .. من هى بالضبط ؟

أجابه رجل الأمن :

- اسمها (إليزابيث وينستون) ، وتقول : إنك حتمًا ستوافق على التحدث إليها .

تفجّر الغضب فى وجه (ليفى) ، وهو يغمغم :

- ياللحقيرة !

ثم استطرد فى حدة :

- لابأس .. دعنى أتحدث إليها ، ولكن سجّل المحادثة كالمعتاد .

مضت لحظة بعدها ، ثم سمع (ليفى) صوت (منى) الساخر ، وهى تقول :

- مساء الخير ياسيادة السفير .. كيف حالك ، بعد ذلك الدرس ، الذى تلقاه رجالك ؟

كتم (ليفى) غيظه ، وهو يقول :

- أى رجال تقصدين ياسنيوريتا (وينستون) ؟.. رجال السفارة ؟

أطلقت (منى) ضحكة ساخرة استفزازية ، وهى تقول :

- فليكن أيها السفير ، سنتجاهل الأمر معًا ، مادمت لاترغب فى التحدث عنه ، ولكننى أردت أن أسمع صوتك فحسب .

أطلقت ضحكة ساخرة أخرى ، ثم أنهت المحادثة على نحو مباغت ، فاحتقن وجه (ليفى) فى غضب هائر ، وهو يقول مرة أخرى :

- ياللحقيرة !

سأله (دان) فى اهتمام :

- ماذا أرادت ؟

أعاد (ليفى) السماعة إلى موضعها فى عنف ، وهو يقول :

- لاشىء .. تريد إغاظتى فحسب .

التقى حاجبا (دان) ، وهو يغمغم :

- إغاظتك فحسب ؟! .. هذا لايتفق مع أعمال المخابرات .

قال (ليفى) فى حدة :

- لو أننى فى موضعها لفعلت الشىء نفسه .

ثم تراجع فى مقعده ، وراح يداعب لحيته القصيرة بسبابته وإبهامه لحظات ، قبل أن يقول فى حنق :

- هذه الفتاة تعدّ لجولة انتقامية يا (دان) ، ونحن نجهل ماتسعى إليه ، ومن يعمل إلى جوارها ، وهذا يعنى أنه من المحتم أن نحكم الرقابة حولها ، أو ...

اتسعت عينه الواحدة فى شراسة ، وهو يستطرد :

ـ أو نتخلص منها تمامًا .

سأله (دان) فى اهتمام بالغ :

ـ هل نرسل أحد قتلتنا المحترفين ؟

هزّ (ليفى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا .. إننى أحتاج إلى استجوابها أوّلاً .

ثم صمت لحظة قصيرة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ استدع (لوبير) .. سنلعب اللعبة هذه المرة فى إطار قانونى .

وعلى طرف شفتيه ارتسم شبح ابتسامة ساخرة ، مع استطرادته :

ـ قانونى تمامًا ..

* * *

ارتسمت على شفتى (منى) ابتسامة ارتياح هادئة ، وهى تسترخى على فراشها ، داخل حجرتها بالفندق ، وتستعيد ذكرى ماحدث ..

كم شعرت بالسعادة ، عندما ظهر (أدهم) فجأة كعادته ، وانتشلها من لجة الخطر ..

كم تمنت لحظتها لو ألقت نفسها بين ذراعيه ، وذابت فى صدره القوى ..

إنها الآن تلعب مع (ميخائيل ليفى) بأوراق مكشوفة ،

وعلى الرغم من هذا فهى تشعر بأمان أكثر ، لأن (أدهم) يقاتل إلى جوارها ، تمامًا كالأيام الخوالى ..

حتى الخطة الجديدة التى وضعها ، تملأ نفسها بالارتياح ، على الرغم من تعقيدها ، لمجرّد أنه هو واضعها ..

صحيح أن هذا لايتفق مع ماتعلّمته من قواعد الأمن ..

ولامع أساليب المخابرات المعتادة ..

ولكن هذا هو (أدهم) ..

إنه الرجل الذى يأتى دائمًا من حيث لايتوقّع خصومه ، أو ينتظره أعداؤه ..

والرجل الذى ينتصر باستمرار ، مهما كانت الصعوبات والعقبات ..

إنه رجل كل المخاطر ..

رجل المستحيل ..

كانت تغوص فى أفكارها وذكرياتها أكثر وأكثر ، لولا تلك الدقّات العنيفة على باب حجرتها ، والتى انتزعتها من استرخائها انتزاعًا ، وجعلتها تهبّ جالسة على طرف الفراش ، وهى تقول فى توتر :

ـ من بالباب ؟.. من هناك ؟

أتاها صوت خشن جاف ، يقول بالإنجليزية :

ـ افتحى باسم القانون .

التقى حاجباها فى توتر ، ونهضت تلتقط ذلك المسدس الصغير ، الذى منحها إياه (أدهم) ، وهى تقول بصوت مرتفع :



وبحثت تلتقط ذلك المسدس الصغير، الذى منحها إياه (أدهم)، وهى تقول بصوت مرتفع: ــ وما الذى يريده منى هذا القانون؟

ــ وما الذى يريده منى هذا القانون ؟

قال صاحب الصوت الخشن الجاف فى حدة :

ــ افتحى ياسنيوريتا ، وإلا حطمنا الباب .

شعرت بالدهشة من هذا الأسلوب العنيف ، إلا أنها أخفت مسدسها خلف ظهرها ، وفتحت الباب فى حذر ، فوقع بصرها على جنديين ضخمى الجثة ، يتوسطهما المفتش (لوبيز) ، الذى يتطلع إليها فى توتر ، فقالت ساخرة :

ــ آه .. فهمت .. هل ستلقيننى فى حفرة الأسود هذه المرة ، أم تضعنى فى حجرة الفئران ؟

قال فى حدة :

ــ إننى هنا فى مهمة رسمية ياسنيوريتا (وينستون) .

رفعت حاجبيها بدهشة مصطنعة ، وهى تقول :

ــ حقًا ؟! .. أهى مهمة شبيهة بالمهمة السابقة ؟

قالتها وهى تستند إلى الحائط ، لتخفى المسدس الصغير ، الذى تمسك به خلف ظهرها ، فتقدم (لوبيز) والجنديين إلى الداخل ، وقال هو فى صرامة :

ــ هل يمكننى رؤية جواز سفرك ياسنيوريتا (وينستون) ؟

هنا فقط بدأت تشعر بقلق حقيقى ، وهى تسأله :

ــ لماذا ؟

أجابها فى صرامة شديدة :

ــ لأننا تلقينا بلاغًا من مجهول ، يقول فيه : إن جواز سفرك زائف ، وأنك لست حتى بريطانية الجنسية .

فهمت عندئذ الأمر كله ..

إنها لعبة جديدة من ألعاب (ليفى) ..

لقد قرر توريطها فى مشكلة قانونية ، للإيقاع بها فى قبضة السلطات البرازيلية ، وتوسيع دائرة الصراع ..

وفى شجاعة ، تمالكت نفسها ، وقالت :

- إنه بلاغ كاذب وسخيف ، فجواز سفرى سليم مائة فى المائة .

ابتسم (لوبيز) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

- فلنترك هذا للخبراء ياسنيوريتا .

تزايد توترها ، أمام هذا الموقف ، وقالت فى حدة :

- أيًا كانت التهمة ، فلن أغادر هذه الحجرة معك ، بعد تجربتى السابقة .. إننى أصرّ على حضور محام .

بدت السخرية فى ملامحه ، وهو يقول :

- اطلبى ما شئت ياسنيوريتا ، حتى لو أردت إحضار كبير المحامين نفسه ، فالتهمة هذه المرة قانونية تمامًا .

أدركت أنه على حق فى قوله هذا ، فالتصقت بأريكة صغيرة ، وتركت المسدس ينزلق خلفها ، حتى لايضيف إليها تهمة أخرى ، وتساءلت فيما بينها وبين نفسها ، فى قلق متوتر ..

ترى أين (أدهم) الآن ؟..

أين ؟..

* * *

تحرك حارس السفارة الإسرائيلية حركته الثابتة المنتظمة ، داخل الحديقة الواسعة ، ودار ببصره فى المكان كله ، قبل أن يرفع جهاز اللاسلكى الخاص به إلى شفتيه ، ويقول بلهجة روتينية :

- كل شىء على مايرام ، فى الحديقة الخلفية .

أتاه صوت روتينى آخر ، يقول :

- وكل شىء على مايرام عند البوّابة .

أعاد جهاز اللاسلكى إلى جيبه ، وعاد يسير داخل الحديقة ، ثم توقف فى مكانه بغتة ، والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يرهف سمعه جيدًا ، حيث التقطت أذناه حركة خافتة ، عند السور الخلفى للسفارة ، فالتفت إلى السور فى سرعة ، وفحصه بعينيه فى توتر ، قبل أن يتمتم :

- لايوجد أى شىء .. ماهذا الذى سمعته إذن ؟

انتفض جسده كله دفعة واحدة ، عندما سمع صوتًا ساخرًا يأتى من خلفه ، قائلاً :

- ربما سمعت صوتى أنا .

التفت بسرعة إلى مصدر الصوت ، ويده تسرع إلى مسدسه المعلق بحزامه ، ولكن فكه استقبل صاعقة هائلة ، ألقت جسده كله مترين إلى الخلف ، قبل أن يسقط على ظهره فاقد الوعى ، وسط الحديقة الخلفية ..

وبخفة متناهية ، جذبه (أدهم) إليه ، ودفعه إلى سور السفارة ، وأجلسه إلى جواره ، ثم التقط مسدسه ، ووضعه فى

جيبه هو ، قبل أن يقفز متعلقًا بإطار نافذة الطابق الأوّل ، ثم يتسلق الجدار فى رشاقة ومرونة وصمت ، حتى بلغ الطابق الثانى ، فوقف على إفريزه الضيق ، يعالج زجاج النافذة فى سرعة ، ثم فتحها ، وقفز داخل حجرة مكتب (ميخائيل ليفى) الخاصة ، وتوقّف داخلها كتمثال من الرخام ، لا تصدر عنه أدنى حركة ، حتى اطمأن إلى أن أحدًا لم ينتبه إلى دخوله ، فتقدّم إلى خزانة صغيرة ، تجاور مكتب (ليفى) ، وانحنى يفحصها فى اهتمام شديد ، ثم ابتسم ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

- أهنئك أيها الوغد .. خزانة إليكترونية خاصة ، وجهاز إنذار يعمل باللمس وخلايا حرارية خاصة ، ترتبط بخلايا ضوئية .. كل هذا فى خزانة عادية المظهر ، تخدع أى لص نمطى .

استغرق بعض الوقت فى دراسة وفحص الخزانة ، دون أن يلمسها بأصابعه ، ودون أن يدوّن شيئًا مما يتوصّل إليه ، مختزنًا كل المعلومات فى عقله ، وبعدها اتجه إلى مكتب (ليفى) ، وراح يفحصه بدوره ، واستغرقه هذا بعض الوقت ، حتى سطعت أضواء المكان بغتة ، وظهر (ليفى) عند الباب ، وحوله خمسة من رجال أمن السفارة ، يحملون مدافعهم الآلية ، وخلفهم (دان) ، و (ليفى) يقول فى غضب :

- هل راقت لك حجرة مكتبى ؟

اعتدل (أدهم) فى هدوء ، وهو يحمل ملامح الشاب الأشقر ، التى التقى بها مع (منى) لأوّل مرة ، وقال بالعبرية فى سخرية :

- ليس كثيرًا ، فطرازها نمطى ، وذوقها تقليدى ، وأنا أميل إلى الطراز الحديث للأثاث .

ضاقت عين (ليفى) الواحدة ، وهو يتطلع إليه فى اهتمام ، قبل أن يقول :

- أتعلم أنك تذكرنى بشاب لم أمقت فى حياتى أكثر منه ، ولولا ثقتى فى مصرعه ، لقلت إنك هو ..

قال (أدهم) فى سخرية :

- يا للمصادفات العجيبة .. أنت أيضًا تذكرنى بشىء ، لم أضحك فى حياتى مثلما ضحكت منه ، ولولا ثقتى من وجوده فى حديقة الحيوان ، لقلت إنك هو .

ضاقت عين (ليفى) أكثر ، وهو يتفرّس فى وجه (أدهم) الزائف بمنتهى الدقة ، متمتمًا :

- نعم .. نفس الأسلوب .

قال (أدهم) فى سرعة ، محاولًا جذب انتباه (ليفى) إلى نقطة أخرى :

- ولكن كيف كشفت وجودى يا رجل ؟.. من المؤكّد أن سمعك ليس حادًا إلى هذه الدرجة .

هزّ (ليفى) رأسه نفيًا ، وقال :

- ليس مسألة سمع .. إنها آلة التصوير هناك .

قالها وأشار إلى أحد أركان الحجرة ، فتطلّع (أدهم) إلى آلة التصوير الصغيرة ، التى يختفى معظمها خلف لوحة زيتية أنيقة ، وقال ساخرًا :

- إنها أنيقة بالفعل .

قال (ليفى) :

- الأناقة وحدها لاتكفى يا رجل .. إنها أيضًا مجهزة بعدسات خاصة ، تتيح لها القدرة على التصوير ، فى الظلام الدامس ، بواسطة الأشعة تحت الحمراء ، وهذا ماكشف أمرك .

قال (أدهم) فى هدوء ساخر :

- رائع .. سأنتبه إلى هذا فى المرة القادمة .

ابتسم (ليفى) قائلًا :

- المرة القادمة .. يالك من متفائل !

تنحنح (دان) فى توتر ، وتدخّل قائلًا :

- معذرة يا سيّدى السفير ، ولكن هل سنقضى الليل كله ، فى التحدث إليه ؟.. ألن تأمر الرجال بإلقاء القبض عليه ؟

رفع (ليفى) حاجبه الأيمن ، قائلًا :

- إلقاء القبض عليه ؟!.. يبدو أنك لم تفهمنى جيّدًا بعد يا عزيزى (دان) .. إننى لم أشرح له وسائل أمننا ، لأننى أنوى إلقاء القبض عليه .

ثم تراجع إلى ماخلف رجاله الخمسة ، وأضاف فى حزم :

- هيا .. اقتلوه يا رجال .

وبسرعة مدهشة ، ارتفعت فوهات المدافع الخمسة ..
وانطلق سيل من النيران نحو الرجل ..
رجل المستحيل .

* * *

٨ - الجريمة ..

فرد المفتش (لوبيز) ساقيه ، على سطح مكتبه ، ووضع قدميه فى وجه (منى) ، وهو يقلب جواز سفرها البريطانى فى يديه ، ويبتسم ابتسامة ساخرة ، قائلًا :

- إنه يبدو متقنًا للغاية ، ولكننى واثق فى أنه زائف .

قالت (منى) فى ضيق :

- وكيف تثق بهذا ، دون أن يفحصه الخبراء ؟

قال فى أسلوب مقيت :

- لدى أسبابى .

قالت فى سخرية محنقة :

- تقصد لديك من أخبرك بهذا .. أو أمرك بما تفعل ، لو شئنا الدقة .

التقى حاجباه فى غضب ، وهو ينزل قدميه عن المكتب ، ويعتدل قائلًا فى حدة :

- هل تتهميننى بشىء ما ؟

قالت فى صرامة :

- ليس بعد ، ولكنك تستحق تهمة الخيانة على الأقل .

هبّ واقفًا فى غضب ، وهوى على وجهها بصفعة قوية ، وهو يصرخ :

- اخرسى .

احتقن وجهها فى شدة ، مع تلك الصفعة ، وصاحت :

- أيها الوغد الحقير .

اندفعت تهاجمه ، ولكن رجاله انقضوا عليها من الخلف ، وكبلوا حركتها ، فصرخت فى ثورة :

- ستدفع ثمن هذه الصفعة غاليًا أيها القذر .

صاح هو فى رجاله :

- ألقوها فى زنزانتها ، ولاتقدموا لها الطعام ، حتى تتعلم كيف تتعامل معنا .

جذبها رجاله إلى زنزانتها فى عنف ، وألقوها داخلها ، فصاحت غاضبة :

- ستدفع الثمن .

سرت فى جسده موجة من التوتر ، والتقط سمّاعة الهاتف ، وهو يقول لرجاله :

- اتركونى وحدى .. إنها محادثة شخصية .

وانتظر حتى غادر آخرهم مكتبه ، ثم أدار رقم السفارة الإسرائيلية ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى قال فى توتر :

- أريد التحدث مع سنيور (دان) .. أنا المفتش (لوبيز) .

ولكن لم يكن من الممكن عمليًا أن يتحدث (لوبيز) مع (دان) ؛ لأن (دان) كان - فى هذه اللحظة - يواجه أخطر رجل مخابرات فى العالم أجمع ..

رجل المستحيل ..

* * *

كانت مباراة فى السرعة والدقة ، وحسن التعامل فى مواجهة الخطر ..

مباراة بين (أدهم صبرى) ، ورجال أمن السفارة الإسرائيلية ..

وفى مباريات السرعة ، يكون (أدهم صبرى) هو الرابح دائمًا ..

لقد رأى فوهات المدافع الآلية الخمسة ترتفع نحوه ، وأصابع أصحابها تبدأ فى ضغط أزندتها ، فدفع مكتب (ليلى) فى عنف ، وقلبه أمامه ، ثم قفز خلفه فى حركة سريعة ..

وانطلقت رصاصات المدافع الآلية كالسيل ، لتخترق سطح المكتب الزجاجى ، وتفجّره قبل أن يلمس الأرض ، فى حين استلّ (أدهم) مسدس حارس الأمن ، وأطلق منه رصاصة واحدة ..

لم يطلقها نحو (ليلى) ، أو (دان) ، أو أى حارس من رجال الأمن ، وإنما أطلقها نحو السلك ، الذى تتعلق به مصابيح الحجرة ، فأصابه بدقة مدهشة ، وانقطع السلك ، فهوت المصابيح على الأرض ، وانفجرت بدوى كبير ، وساد الظلام التام ، فصرخ (دان) :

- أشعلوا المصباح الاحتياطى .. لاتسمحوا له بالفرار .

ولكن (أدهم) كان أيضًا الأكثر سرعة ، فقد غادر مكمنه ، واندفع نحو النافذة ، ثم وثب عبر زجاجها فى وثبة قوية ، وتحطم الزجاج من حوله ، وهو يندفع خارج المكان ، فصاح (ليلى) :

- إنه يهرب .. اقتلوه .

أطلق الرجال الخمسة رصاصات مدافعهم بحركة غريزية آلية ، ولكن الرصاصات كلها طاشت فى الهواء ، وجسد (أدهم) يهوى من الطابق الثانى ، إلى الحديقة الخلفية للفيلا ..

وهبط (أدهم) على قدميه ، فى الحديقة الخلفية ، وانثنت ركبتاه فى مرونة ، للتخفيف من قوة الهبوط ، ثم انفردتا فى سرعة ، وهو يهبّ واقفًا على قدميه ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها حرّاس السفارة ، وهم يعدون نحوه ، وكل منهم يحمل مدفعه الآلى ..

وكان على (أدهم) أن يبادرهم بالهجوم ، وإلا أحكموا حصاره ، فأطلق رصاصات مسدسه نحوهم ، وأصاب مدفعى رجلين منهم ، ثم انطلق نحو سور السفارة ، ووثب يتعلق به ، ثم ارتفع جسده مع ذراعيه فى مرونة أدهشت خصومه ، قبل أن يختفى جسده فى الجانب الآخر للسور ..

وانطلق الرجال يعبرون بوابة السفارة ، لمواصلة المطاردة ، ولكنهم وصلوا متأخرين ، بعد أن انطلقت سيارة (أدهم) مبتعدة عن المكان ، فى سرعة مدهشة ، فهتف (ليفى) فى غضب ، وهو يتابع الموقف من نافذة حجرة مكتبه ، فى الطابق الثانى :

- اللعنة !.. لقد هرب .

كان الرجال قد أشعلوا المصباح الاحتياطى ، وانهمكوا فى رفع المكتب ، لإعادته إلى موضعه ، عندما قال (دان) :

- يا للشيطان !.. ما هذا بالضبط؟

التفت إليه (ليفى) فى حركة حادة ، قائلًا :

- ماذا لديك؟

انتزع (دان) جهاز التصنت ، الذى ألصقته (منى) أسفل حافة المكتب ، وهو يقول فى انزعاج:

- إنه فص الخاتم ، الذى كانت ترتديه فتاة المخابرات المصرية .. المعنى الوحيد لوجوده هنا هو أنه ..

قاطعه (ليفى) ، مكملًا الجملة فى غضب :

- جهاز تصنت .. هذا هو التفسير الوحيد .

والتقط القرص فى حنق ، وألقاه أرضًا ، ثم سحقه بقدمه ، قائلًا :

- هذا يغيّر الكثير ..

سأله (دان) :

- بم تأمر ياسيادة السفير؟

برقت عين (ليفى) ببريق مخيف ، وهو يقول :

- أريد هذه الفتاة يا (دان) .. أريدها بأى ثمن

وابتسم (دان) فى ارتياح ، قائلًا :

- سمعًا وطاعة ياسيّدى السفير .

وفى أعماقه غرّد شيطان ..

شيطان رهيب .

* * *

تضاعف قلق (لوبيز) وتوتره ، وهو يتصل بالسفارة الإسرائيلية للمرة الثانية ، قائلًا :

ـ أنا المفتش (لوبيز) .. فى إدارة الأمن .. أريد التحدث إلى السنيور (دان) .

انتظر لحظة ، حتى أتاه صوت (دان) ، وهو يقول :

ـ ماذا تريد يا (لوبيز) ؟

أجابه فى توتر :

ـ الفتاة هنا .. لقد ألقينا القبض عليها ، ولكن جواز سفرها يبدو سليمًا ، ولست أدرى ماذا سنفعل بها ، لو لم ..

قاطعه (دان) فى برود :

ـ إنه جواز زائف .. ثق بى .

قال (لوبيز) فى عصبية :

ـ فليكن ، ولكن ماذا أفعل بها .. لن يمكننى الاحتفاظ بها إلى الأبد ، حتى لو كان جوازها زائفًا ، ففى هذه الحالة ينبغى تسليمها لسلطات أعلى ، للتحقيق معها بتهمة التجسس مثلًا .

قال (دان) :

ـ اطمئن .. لن نبلغ هذه المرحلة .

خفض (لوبيز) صوته ، وقال :

ـ هل نقتلها قبل هذا ؟

أجابه (دان) :

ـ كلا يا عزيزى (لوبيز) .. إنها ستهرب من عندك .

هتف (لوبيز) فى دهشة :

ـ تهرب ؟! .. ولكن ..

خيل إليه فجأة أنه فهم مايقصده (دان) ، فاستدرك :

ـ آه .. إنها ستحاول الفرار ، ثم تتلقى رصاصة فى رأسها ، و..

قاطعه (دان) فى صرامة :

ـ ولا هذا أيضًا يا (لوبيز) .

قال (لوبيز) فى عصبية :

ـ ماذا سيحدث إذن ياسنيور (دان) ؟

أجابه (دان) :

ـ سيحدث ما اقترحته أنا منذ البداية يا (لوبيز) .. سننقل هذه اللعينة إلى هنا ، حيث ننتزع منها كل ماترغب فى معرفته .

وصمت لحظة ، بدت لـ(لوبيز) أشبه بدهر كامل ، قبل أن يضيف فى صرامة شديدة ، وبلهجة مخيفة :

ـ أو ننتزع لسانها .

انتفض جسد (لوبيز) ، وهو يقول :

ـ وكيف ننقلها إليكم ياسنيور (دان) ؟ .. لقد أصبحت مسجلة لدينا هنا .. ألم يكن من الأفضل أن تذهب بها إليكم مباشرة ؟

قال (دان) ، وقد امتزجت لهجته الجامدة برنة زهو عجيبة :

ـ كلا يا (لوبيز) .. إننا ندير لعبة مزدوجة ، لنوقع بتلك

الحقيرة بين أيدينا ، ونقطع عليها خط الرجعة فى الوقت نفسه .. هيا يا (لوبيز) .. استمع إلىّ ، ونفّذ ما أقوله بالحرف الواحد .

واستمع إليه (لوبيز) بكل الاهتمام ..

وكل القلق ..

* * *

عاد (أدهم) إلى الفندق فى ساعة متأخرة ، وهو يحمل وجه كهل أشيب الفودين ، ضخم الأنف ، امتلأ وجهه بنمش أحمر كثيف ، واتجه إلى موظف الاستقبال قائلاً بصوت متهالك ، يوحى بالضعف والوهن :

ـ مساء الخير .. هناك أية برقيات باسمى؟

ابتسم موظف الاستقبال ، قائلاً :

ـ لا ياسنيور (ألفيريدو) .. لاتوجد أية برقيات .

تركه (أدهم) ، وهو يسير بخطوات زاحفة ، وكأنه مصاب بنوع من الشلل الرعّاش ، واستقلّ المصعد إلى حجرته ، ولم يكد يبلغها حتى ألقى كل الضعف والتعب والتهالك جانبًا ، واستعاد نشاطه الطبيعى ، وهو ينزع عن وجهه قناع الكهل ، ويجلس أمام المرآة ، ليرتدى قناع الشاب الأشقر ، ويلصقه على وجهه بكل عناية ، وبعدها غادر حجرته فى خفة ، وذهب إلى حجرة (منى) ، ودقّ بابها فى خفوت ، وانتظر لحظات ، فلما لم يتلق جوابًا ، دفع الباب ، ودلف إلى الحجرة ، و ..

وتوقّف مبهوتًا ..

كانت الحجرة على ما هى عليه ، ولكن جهاز الاستقبال الخاص ، الذى صنعته (منى) ، لم يكن فى موضعه ، كما أن عين (أدهم) الخبيرة أدركت على الفور أن يدًا ما قد عبثت بالحجرة ، وأجرت بها تفتيشًا دقيقًا مدروسًا ، فغمغم فى توتر :

ـ هل ضرب (ليفى) الوغد ضربته الثانية بهذه السرعة؟!

غادر الحجرة فى سرعة ، وهبط إلى بهو الفندق بوجهه الجديد ، وسأل موظف الاستقبال فى صرامة :

ـ أين ذهبت السنيورا (إليزابيث)؟

أجابه موظف الاستقبال فى سرعة ، دون أن يفقد ابتسامته العريضة :

ـ لقد رحلت مع المفتش (لوبيز) .

تزايد توتر (أدهم) ، وهو يقول :

ـ رحلت معه؟!

أومأ الموظف برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ الواقع أنه ألقى القبض عليها ، واصطحبها إلى قسم الشرطة ، بتهمة التزوير فى جواز السفر .

أدرك (أدهم) اللعبة كلها على الفور ، ولم يشأ أن يضيع لحظة واحدة ، وإنما انطلق على الفور ، وقفز فى سيارته ، وانطلق بها إلى قسم الشرطة ..

لقد أجاد (ليفى) الضربة هذه المرة ، وأتى بها من مصدر قانونى تمامًا ، وهذه وسيلة زكية ، تمنحه قوة إضافية ، وتزيد من عدد الجهات ، التى تواجه المخابرات المصرية ونشاطها .

ولكنه لن يسمح له بهذا ..

لن يسمح له بإيذاء (منى) ، مهما كان الثمن ..

وبكل الغضب والثورة والقلق فى أعماقه ، ضغط دواسة الوقود أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

شعرت (منى) بتوتر يسرى فى جسدها ، عندما رأت (لوبيز) أمام زنزانتها ، وإلى جواره حارسين جديدين ، لم تر أحدهما من قبل ، واعتدلت واقفة ، وهى تقول فى عصبية :

- أرى أنك قد أبدلت حارسيك أيها الوغد .

رمقها (لوبيز) بنظرة طويلة ، ثم أشار إلى أحد الرجلين ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فأسرع الرجل يفتح باب الزنزانة ، وانتظر جانبها ، فى حين أشار (لوبيز) إلى (منى) ، وقال :

- تعالى .

ترددت وهى تقول :

- إلى أين ؟ .. هل ستحملنى إلى فخ جديد ؟

قال فى غلظة :

- قاضى التحقيقات يرغب فى رؤيتك .

سألته فى حذر :

- فى مثل هذه الساعة ؟!

قال فى عصبية :

- إنه أمر عاجل .

فكرت فى رفض الأمر ، والبقاء فى زنزانتها ، إلا أنها لم تجد فائدة فى هذا ، فلو أنهم يستطيعون قتلها لفعلوا ، دون الحاجة إلى مغادرتها زنزانتها ، فارتدت حذاءها ، واتجهت إلى خارج زنزانتها ، قائلة :

- لابأس أيها المفتش .. سأمنحك فرصة أخرى .

لم تكد تغادر الزنزانة ، حتى أشار (لوبيز) إلى الرجل الآخر ، فدفع شيئًا ما فى قفل الزنزانة ، ثم لواه فى عنف ، فانبعثت من القفل فرقعة عجيبة ، خفق لها قلب (منى) فى قوة ، وقد خيل إليها أنها قد فهمت اللعبة كلها ..

إنهم يحطمون قفل زنزانتها ، بحيث يبدو خروجها منها أشبه بعملية هروب ..

هروب يبيح لـ (لوبيز) ، أو حتى للحارسين قتلها ..

ولم يكن هناك وقت للتفكير بعد هذا ..

وبحركة قوية مباغتة ، دفعت (منى) أقرب الحارسين إليها فى عنف ، ليرتطم بالحائط المقابل ، ثم أطلقت صيحة قتالية ، وهى تثب لتركل الحارس الثانى فى وجهه ، ودارت على أطراف أصابع قدمها اليسرى فى خفة مدهشة ، لتستقبل الحارس الأول ، عند ارتداده من الحائط ، بضربة قوية من قدمها اليمنى ، جعلت رأسه يصطدم بالحائط ، ثم يهوى وجهه كالحجر ..



وبحركة قوية مباغتة ، دفعت (منى) أقرب الحارسين إليها فى عنف ، ليرتطم بالحائط المقابل ..

وتراجع (لويز) فى توتر وخوف ، وهو يلوّح بكفه ، قائلاً :
ـ سنيوريتا .. أنت ترتكبين خطأ فادحا .
ولكنها لم تعر حديثه التفاتا ، وهوت على عنقه بضربة عنيفة من حافة يدها ، فأزاحته عن طريقها ، وانحنت تختطف مسدسه ، وانطلقت تعدو عبر ممر القسم ، و(لويز) يسعل خلفها فى شدة ، ويصرخ :
ـ أوقفوها .. أوقفوها .
كان هروبها مفاجأة للجميع ، ولكن بعضهم حاول اعتراضها ، لولا الرصاصات التى أطلقتها من مسدس (لويز) ، لتفسح لنفسها الطريق ..
والعجيب أنها نجحت ـ بهذه الوسيلة وحدها ـ فى بلوغ الطريق ، فلوّحت بمسدسها فى وجه سائق إحدى سيارات الشرطة ، وهى تصرخ به فى الإنجليزية متوترة :
ـ ابتعد وإلا ...
لم يكن الرجل يفهم حرفًا واحدًا من الإنجليزية ، ولكنه انطلق يعدو مبتعدا ، وكأنما يطارده ألف شيطان ، فقفزت هى داخل سيارته ، وأدارت محركها فى توتر بالغ ، وانطلقت بها مبتعدة ، و(لويز) من خلفها يصرخ :
ـ لا تسمحوا لها بالفرار .. أوقفوها ..
مضت لحظة تجمّد فيها الجميع ، وهم ينظرون إلى بعضهم البعض فى ذهول ، قبل أن يصرخ (لويز) :
ـ قلت : أوقفوها ..

عندئذ فقط هرع الجميع إلى سياراتهم ، وانطلقوا خلف سيارة (منى) ، التى انحرفت إلى طريق جانبى ، وضغطت فرامل سيارة الشرطة ، وأوقفتها إلى جانب الطريـــق ، وغادرتها لتركض عبر الشارع ، وتختفى فى نهايته ..

ومن بعيد ، راح رجل أصلع ضخم يتابع هروبها ، عبر منظار مقرّب قوى ، من فوق سطح بناية شاهقة ، وهو يتمتم لزميله النحيل:

- رائع .. الزعيم عبقرى بالفعل .. إنها تسير على نفس النسق الذى تصوّره ، وكأنه هو الذى خطط لفرارها .

- أجابه زميله بصوت حاد رفيع :

- اسم السفير وليس الزعيم .. إننا لسنا عصابة إجرامية .

زمجر الأصلع ، قائلًا :

- هو الذى طلب عدم ذكر اسمه .

ثم التقط جهاز لاسلكى صغيرًا ، وقال عبره :

- الهدف تجاوز شارع (بوليفار) ، ويعدو عبر الطريق الخامس .

ظل يتابعها بمنظاره ، وهى تتلفّت حولها متوترة ، ثم تتجه إلى إحدى السيارات ، على جانب الطريق ، وتكسر زجاج نافذتها الخلفية بكعب المسدس ، ثم تفتح بابها ، وتحتل مقعد قيادتها ، فقال مرة أخرى ، عبر جهاز اللاسلكى :

- لقد استولى الهدف على سيارة حمراء ، من طراز (فيات/ ١٣٢) ، وانطلق به عبر الشارع السادس .

تلقّى (دان) هذه الرسالة ، فى مكتب (ليفى) ، فالتفت إلى هذا الأخير ، وقال :

- إنها تنطلق بسيارة (فيات) حمـــراء ، فى الشارع السادس .

ابتسم (ليفى) فى ثقة ، وهو يقول :

- مرهم باعتراض طريقها .. أريدها هنا قبل مرور ساعة واحدة .

نقل (دان) الأمر إلى الرجال ، ثم سأل (ليفى) فى إعجاب :

- أكنت تعلم أنها ستفعل هذا؟

امتلأت ابتسامة (ليفى) بالثقة ، وهو يقول :

- دون أدنى شك .. إنها فتاة مخابرات ، وعندما يخرجونها من زنزانتها ، ثم يحطمون قفل الزنزانة ، ستتصوّر مباشرة أنهم يحاولون قتلها ، بحجة محاولتها الفرار ، ولن يكون أمامها ، فى هذه الحالة ، سوى الهروب بالفعل .

قال (دان) ، فى لهجة تفيض انبهارًا وإعجابًا :

- أنت عبقرى ياسيّدى السفير .

ضحك (ليفى) فى زهو ، وهو يقول :

- إنك لم تشاهد العبقرية بعد يا عزيزى (دان) .

قال (دان) :

- أكاد أذوب لهفة لرؤيتها ياسيّدى السفير .

قال (ليفى) فى ارتياح :

- اطمئن .

ثم تراجع فى مقعده ، مستطردًا :

ـ إننى الآن أحرّك هؤلاء المصريين ، كما لو كانوا قطعًا من الخشب ، على لوحة شطرنج ، وعندما تحين لحظتى المناسبة ، سأكون أنا من يقول الكلمة الحاسمة .

وفرقع سبّابته وإبهامه ، وبرقت عيناه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ كش .. مات الملك .

واتسعت ابتسامته أكثر ..

* * *

خفق قلب (منى) ، وراح ينبض فى عنف ، وهى تنطلق بالسيارة (الفيات) الحمراء ، عبر الشارع السادس .

كانت تعلم أن فرارها يزيد الأمور تعقيدًا ، ويضعها فى أسخف موقف ممكن ، ولكن لم يكن أمامها سوى هذا ..

الفرار أو الموت ..

ولكن هناك نقطة واحدة لصالحها ، فى هذا الأمر كله ..

(أدهم صبرى) ..

إنه يعمل إلى جانبها ، ولن يتخلّى عنها أبدًا ..

وهذا أملها الوحيد ..

يكفى أن تصل إليه ، ويصبح كل شىء ممكنًا ..

ولكن كيف؟!..

كيف تجده ، وهى لاتعلم حتى فى أية هيئة يتخفّى ، وبأى اسم ينزل بالفندق؟

هناك خيط واحد ، يمكن أن تهتدى به إليه ..

حروف اسمه الأولى ..

ستبحث عن نزيل منفرد ، يحمل فى اسمه حرفى الألف والصاد ..

إنها واحدة من سمات (أدهم) ..

ولكن هل ستجد الوقت الكافى للبحث عنه؟

لو أن (لوبيز) هذا يمتلك شيئًا من الذكاء ، فإن أول شىء سيفعله ، بعد أن يعجز عن مطاردتها ، هو أن يرسل رجاله إلى الفندق ، أو يذهب إليه بنفسه ، بافتراض أنها ستحاول حتمًا العودة إليه ..

لو أنه يمتلك بعض الذكاء لفعل حتمًا ..

تضاعف القلق فى أعماقها ، وهى تبحث عن وسيلة للعثور على (أدهم صبرى) ، قبل فوات الأوان ، وقبل أن ..

انقطعت أفكارها بغتة ، واتسعت عيناها فى ذعر ، عندما اعترضت طريقها تلك السيارة (الفورد) الفاخرة ، واندفعت قدمها تحاول ضغط دوّاسة الفرامل ..

ولكن الفرامل لم تستجب .

ولم يكن هناك مفرّ من التصادم .

* * *

٩ ـ الأسـرة ..

لم تستجب الفرامل أبدًا ..

ضغطتها (منى) بكل ماتملك من قوة ، ولكنها لم تبد أدنى استجابة لضغطتها ..

وكان الارتطام ..

ارتطمت (الفيات) الحمراء بالسيارة (الفورد) القاهرة ، وقفزت فوق مقدمتها فى مشهد مخيف ، ثم انقلبت على جانبها ، وهى ترتطم بالأرض فى عنف ، وتزحف لمسافة طويلة ، وهى تحتك بالأرض الأسفلتية ، وتتصاعد منها شرارات عنيفة قوية ..

وأخيرًا توقفت السيارة على جانبها الأيمن ، وراح إطاراها العلويان يدوران حول نفسيهما فى قوة ، و(منى) داخلها تقاوم غيبوبة عميقة ، تحيط برأسها ، وتسيطر على وعيها تدريجيًا ..

وفى عناد ، أخرجت المسدس ، وحاولت أن تتشبث بالنافذة المجاورة لها ، وتدفع جسدها خارج السيارة ، وسمعت من بعيد صوت البوق المميز لسيارات الإسعاف ..

ثم ظهر ذلك الوجه البغيض ..

وجه يختفى كله خلف لحية ضخمة منكوشة ، وشعر أشعث مجعّد ، ويمتلئ نصفه بابتسامة صفراء مخيفة ..

ومن جانب الوجه ، ارتفعت هراوة قصيرة ..

ورفعت (منى) المسدس ..

وحاولت الدفاع عن نفسها ..

ولكن الهراوة القصيرة كانت أسرع ..

وهوت على مؤخرة رأسها فى عنف ..

وأظلمت الدنيا فجأة ..

وانتهى كل شىء ..

* * *

تطلع الشرطى إلى وجه (أدهم) فى غضب ، وهتف ملوّحًا بيده فى سخط وحدة :

ـ أتسأل عن تلك البريطانية ؟!.. نعم .. لقد أتينا بها إلى هنا ، ولكنها لم تعد هنا .

سأله (أدهم) :

ـ وأين ذهبت بالضبط ؟

قال الشرطى فى غلظة :

ـ وما شأنك أنت بهذا ؟.. أأنت محاميها ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يتمالك نفسه :

ـ بل صديق لها .. صديق حميم .

قال الشرطى فى وقاحة :

ـ ونحن لانمنح أسرارنا للأصدقاء الحميمين .

مرة أخرى تمالك (أدهم) نفسه ، وهو يقول :

ـ ولكن من الضرورى أن أعرف أين هى .

لوّح الشرطى بذراعه فى خشونة ، وهو يقول :

ـ انتظر صحف الغد إذن .. والآن غادر هذا القسم ، قبل أن ألقى بك فى زنزانة مظلمة ، وأصفعك على وجهك ، مثلما فعل (لوبيز) بصديقتك البريطانية الحقيرة .

التقى حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :

ـ صفعها على وجهها ؟! .. هل صفع (لوبيز) هذا صديقتى على وجهها ؟

شعر الشرطى بخوف مفاجئ ، مع تلك الصرامة ، التى أطلت من عينى (أدهم) ، ولكنه قاوم خوفه هذا بمزيد من الوقاحة والخشونة ، وهو يهتف :

ـ قلت لك اخرج ، وإلا صفعتك مرتين .

أدهشه أن استدار (أدهم) دون كلمة واحدة ، وغادر القسم فى خطوات سريعة ، فغمغم فى توتر :

ـ أى رجل هذا ؟

التفت إلى النافذة المجاورة له ، وتابع ببصره (أدهم) ، وهو يتجه إلى سيارته ، ويستقلها ، ويدير محركها ، ثم ينطلق بها بغتة ..

وتراجع الشرطى فى هلع وارتياع ..

ولم يصدق عينيه أبدًا ..

لقد كان (أدهم) ينطلق نحو القسم ..

نحوه مباشرة ..

وفى اللحظة التالية ، لم يكن هناك مجال لعدم التصديق ..

لقد اقتحمت سيارة (أدهم) القسم ، وحطمت كل ما اعترض طريقها من أثاثاته ، وأطاحت بكل من وقف أمامها من رجاله ..

ثم قفز (أدهم) من السيارة ..

قفز حاملاً مسدسه ، وراح يطلق النيران منه فى كل مكان ..

وسادت القسم موجة هائلة من الذعر ، وخاصة عندما انتزع من حزامه قنبلة دخان ، وألقاها فى منتصف المكان ، فانفجرت بدوى مكتوم ، وأغرقت القسم كله فى سحابة كثيفة ، أحرقت العيون وألهبت الصدور ..

وانتفض الشرطى فى ارتياع ورعب ، عندما رأى (أدهم) أمامه ، وتراجع صارخًا :

ـ لا .. لاتلمسنى .

ولم يلمسه (أدهم) ..

لقد هوى على فكه بمسدسه ، فحطم اثنتين من أسنانه الأمامية ، ومزّق شفتيه ، قبل أن يجذبه من شعره ، ويسأله بصوت تتجمد له الدماء فى العروق :

ـ أين ذهبت البريطانية ؟

هتف الرجل بصوت أقرب إلى البكاء :

ـ لقد هربت .. أقسم لك .. هربت من هنا ، ولست أدرى ماذا حدث بعدها .. (لوبيز) وحده يعرف :

سأله (أدهم) بصرامته المخيفة :

ـ وأين أجد هذا الوغد ؟

ألقى إليه الشرطى عنوان (لوبيز) ، وهو يسعل فى شدة ، فدفعه (أدهم) بعيدًا ، ثم عاد إلى سيارته فى هدوء ، على الرغم من الهرج والمرج ، اللذين سادا المكان ، والجميع يتخبطون وسط سحابة الدخان ، وأدار محرّكها مرة أخرى ، وعاد بها إلى الخلف ، خارجًا من القسم ، ثم انطلق إلى حيث (لوبيز) ..

لسوء حظ هذا الأخير ..

* * *

ارتفع البوق المميّز لسيارة الإسعاف ، وهى تنطلق عبر شوارع (برازيليا) والجميع يفسحون لها الطريق ، حتى بلغت مبنى السفارة الإسرائيلية ، فدارت حوله إلى بابه الخلفى ، وأوقف سائقها البوق ، وانتظر حتى فتح له رجال الأمن الباب ، وعبره فى سرعة ، وتركهم يغلقونه خلفه ، ثم ابتسم ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

ـ لقد نجحت الخطة .

أجابه حارس الأمن

ـ السفير يأمرك بوضع حملك فى القبو ، وإبلاغه فور انتهائك من عملك .

أطلق السائق ضحكة مقيتة ، وقال

ـ هذا يسعدنى .

فى نفس اللحظة كان (دان) يقول لـ (ليفى) فى ارتياح :

ـ كل شىء يسير على ما يرام .. لقد وصلت سيارتنا ، وهم ينقلون تلك المصرية الآن إلى القبو .

ابتسم (ليفى) فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ عظيم .

أشعل سيجارته ، وهو يسترخى فى مقعده ، وراح ينفث دخانها فى صمت ، وهو يفكر فى عمق ، ثم اعتدل قائلًا :

ـ من المؤكد أن هذه الفتاة ليست وحدها يا (دان) .

أجابه (دان) :

ـ بالتأكيد ياسيّدى السفير ، ولقد رأينا زميلها بأنفسنا .

سأله (ليفى) :

ـ من زميلها هذا فى رأيك يا (دان) ؟

أجابه (دان) على الفور :

ـ لقد راجعت سجلاتنا بشأنها ، ووجدت جوابًا مناسبًا لهذا ، فلقد شاركها شاب جديد ، من المخابرات المصرية ، فى عملية قريبة ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، اسمه (حسام حمدى) (*) وربما كان هو نفسه الذى يشاركها الآن .

عقد (ليفى) حاجبيه ، وقال :

ـ ولكنك نسيت ذلك الشخص المجهول ، الذى ظهر فى هذه العملية نفسها ، وأنقذ هذه الفتاة وزميلها ، وأنهى العملية على نحو مبهر .

(*) راجع قصة (لمسة الشر) .. المغامرة رقم (٨٥) .

سأله (دان) :

ـ ومن هذا الشخص المجهول فى رأيك ؟

نفث (ليفى) دخان سيجارته مرة أخرى فى قوة ، وشرد ببصره وأفكاره طويلاً ، قبل أن يتمتم فى خفوت ، وهو ينفض رماد سيجارته فى منفضدة عاجية أمامه :

ـ ربما تقتلك الدهشة ، لو أخبرتك مايدور فى ذهنى .

جذبت هذه العبارة انتباه واهتمام (دان) فى شدة ، فسأل (ليفى) :

ـ أهو أمر عجيب إلى هذا الحد ؟

أومأ (ليفى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بل أعجب مما يمكنك تصوّره .

تطلّع إليه (دان) فى حيرة وتساؤل ، ثم قال :

ـ جربنى إذن ، وأعدك ألا يدهشنى هذا .. بل أراهنك أنه لن يدهشنى .

ألقى عليه (ليفى) نظرة ساخرة ، ثم نهض إلى نافذة مكتبه ، ووقف يتطلع عبرها لحظات ، ثم التفت إلى (دان) ، وقال :

ـ إننى أظن أن ذلك الشخص المجهول ، الذى يعمل إلى جانب هذه الفتاة ، هو نفس الشخص ، الذى نتصوّر جميعًا أنه فى عداد الأموات . .

والتقى حاجباه ، وأطل الحزم فى عينه الوحيدة ، وهو يضيف :

ـ إنه (أدهم) .. (أدهم صبرى) ..

وخسر (دان) الرهان ..

خسره فى شدة ..

* * *

برقت عينا المفتش (لوبيز) فى جشع ، وهو يضع أمامه كومة النقود ، التى حصل عليها من (ليفى) ، مقابل تسليمه (منى) ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة شرهة ، وهو يقول فى سعادة غامرة ، ولهفة لاحدود لها :

ـ لقد أصبحت ثريًا .. أخيرًا يا (لوبيز) أصبحت تمتلك مائة ألف دولار أمريكى .. أخيرًا .

خفق قلبه فى سعادة ، وهو يرصّ النقود إلى جوار بعضها البعض ، ويشمّ رائحتها فى استمتاع ، ثم انتفض جسده فجأة ، عندما سمع تلك الطرقات القوية على باب منزله ، وقفز يحاول احتضان كومة النقود بذراعيه ، وهو يهتف فى هلع :

ـ من ؟.. من بالباب ؟

أتاه صوت (أدهم) القوى ، وهو يقول :

ـ افتح يا (لوبيز) .. هناك أمر أحب مناقشته معك .

صاح وهو يجمع النقود ، ويحشو بها جيوبه فى ذعر :

ـ لاشأن لك بى .. ثم من أنت حتى تطلب مناقشة أى أمر معى .. إننى حتى لاأعرفك .

شهق فى هلع ، عندما انطلقت على رتاج باب منزله رصاصتان صامتتان ، انتزعتا الرتاج من مكانه ، وضربت قدم

قوية الباب ، فانفتحت على مصراعيه بكل العنف ، وصرخ (لوبيز) فى ذعر ، وهو يختطف النقود اختطافًا :

- من أنت ؟.. كيف تجرؤ على اقتحام منزلى هكذا ؟

وحاول أن يلتقط مسدسه ، ولكن قبضة (أدهم) هوت على فكه كالقنبلة ، وحطمت واحدة من أسنانه الأمامية ، فصرخ :

- ماذا تفعل ؟.. اتركنى .

قالها قبل أن تغوص قبضة (أدهم) مرة ثانية فى أنفه ، وتمزج لحمه بعظامه ودمائه ، ثم تبتعد لتهوى مرة ثالثة على معدته ، ثم رابعة فى صدره ..

وسقط (لوبيز) والدماء تنهمر من أنفه وفمه ، ومعدته وصدره يصرخان بالآم مبرحة ، ولكن (أدهم) أمسكه من عنقه بأصابع فولاذية ، وأجبره على الوقوف على قدميه ، وهو يسأله فى لهجة مخيفة :

- أين ذهبت البريطانية ؟!.. ماذا فعلت بها ؟

قال (لوبيز) فى هلع :

- أية بريطانية ؟.. لست أعلم عم تتحدث ..

أخرسته قبضة (أدهم) ، التى انتزعت سنتين أخريين من فمه ، وفجرت فيه نافورة من الدم ، راح يبصقها صارخا :

- لست أعلم شيئا .. لست أعـ...

كانت اللكمة كالقنبلة هذه المرة فى معدته ، وخيل إليه أن أحشاءه خرجت معها ، وسقطت تحت قدميه ، و (أدهم) يفرغ جيوبه من النقود ، قائلا فى صرامة :

- أى ثمن هذا إذن ؟

هتف (لوبيز) فى انهيار :

- اترك نقودى .. لاشأن لك بها .. اتركها وسأخبرك بكل شىء .

ألقى (أدهم) رزم الأوراق المالية على المنضدة ، وسكب فوقها محتويات زجاجة الخمر ، التى كان يجرعها (لوبيز) ، احتفالًا بغنيمته ، فصرخ هذا الأخير :

- لا .. لاتفعل هذا .. البريطانية فى السفارة الإسرائيلية .. السفير بنفسه طلب هذا .. لقد تعرّضت لحادث سيارة ، وجاءت سيارة إسعاف زائفة ، وحملتها إلى هناك .. إننى أقول الحقيقة .. أقسم لك .

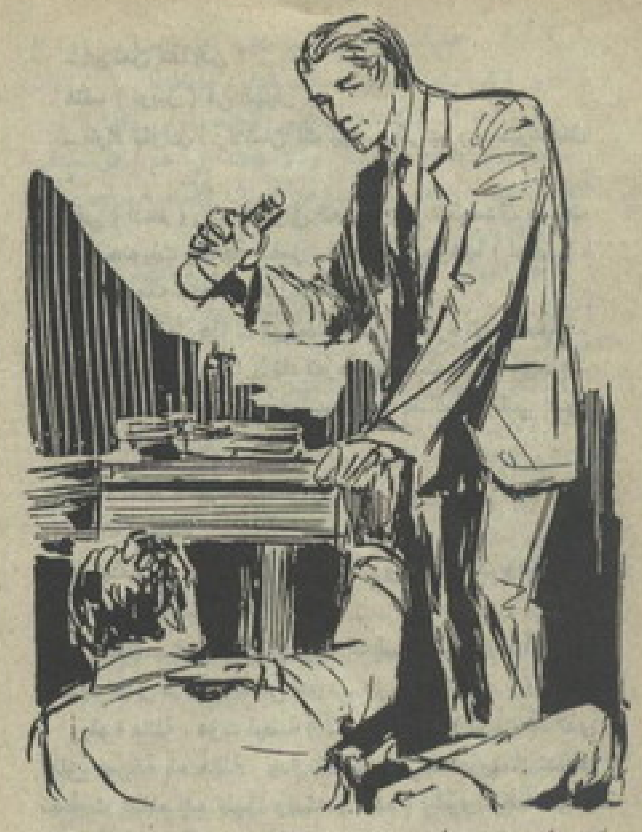
قال (أدهم) فى صوت قاس :

- وأنا أصدقك .

ثم جذب يد (لوبيز) اليمنى ، ووضعها مفرودة على المائدة ، وهو يستطرد :

- ولكنك صفعت زميلتى بيدك الحقيرة هذه ، وأنا أكره أن يمسها أى وغد مثلك بأدنى سوء .

وبقوة هائلة ، هوت قبضة (أدهم) على يد (لوبيز) ، الذى أطلق صرخة ألم هائلة ، ودارت عيناه فى محجريهما ، عندما تحطمت عظام يده كلها ، وتركه (أدهم) يتلوى أرضًا ، وهو يقول فى صرامة :



ألقى (أدهم) رزم الأوراق المالية على المنضدة ، وسكب فوقها محتويات زجاجة الخمر ، التى كان يجرعها (لوبيز) ..

- إياك أن تمدّ يدك إليها فى المرة القادمة .

ثم أخرج علبة ثقاب ، وأشعل أحد أعوادها ، و(لوبيز) يصرخ :

- لا .. لاتفعل .. أرجوك .

وألقى (أدهم) العود المشتعل على كومة النقود ، التى تغمرها الخمر ..

واشتعلت النيران فى النقود ..

وفى قلب (لوبيز) ..

وفى هدوء كامل ، وحزم مثير ، ووسط صرخات اللوعة والذعر والألم ، التى انطلقت من حلق (لوبيز) ، وهو يحاول عبثًا إطفاء النيران ، التى تلتهم نقوده التهامًا ، غادر (أدهم) المكان ، وانطلق بسيارته إلى الهدف التالى ..

إلى السفارة الإسرائيلية ..

* * *

استعادت (منى) وعيها فى بطء ، وشعرت بآلام شديدة فى رأسها ، جعلتها تغمغم فى عذاب :

- يا إلهى !.. أين أنا ؟.. ماذا حدث ؟

بدت الرؤيا أمامها مهتزّة مشوّشة فى البداية ، ثم راحت تتضح تدريجيًا ، فسرت فى جسدها قشعريرة باردة ، عندما أنبأها بصرها بالجواب ..

إنها أسيرة فى مكان مغلق رطب ، وأمامها يقف (ميخائيل

ليفى) ، بابتسامته الظافرة المقيتة ، وإلى جواره (دان) ، ورجل آخر أشبه بديناصور بشرى متحرك(*) ، يتطلع إليها بنظرات شرسة مخيفة ..

وكان (ليفى) هو أول من تحدث ، وهو يقول ساخرًا :

ـ أخيرًا يا عزيزتى أصبحت هنا ، فى قبضتى .

حاولت أن تستعير أسلوب (أدهم) الساخر ، وهى تقول :

ـ عجبًا ! .. لم أكن أتصور أن شياطين الجحيم قبيحة إلى هذا الحد .

ولكن (ليفى) قهقه ساخرًا ، وقال :

ـ ياله من إطراء يا عزيزتى .. سأحفر كلماتك هذه على قبرك حتمًا .

ثم مال نحوها ، مستطردًا فى تشف :

ـ ولكن أى اسم أكتبه تحتها ؟ .. (إليزابيث وينستون) ، أم (منى توفيق) ..

تطلعت إلى عينيه مباشرة ، وهى تقول :

ـ أظن أنه سيكون من الصعب أن تغادر قبرك ، لتخط حرفًا واحدًا على قبرى .

(*) الديناصور : زواحف برية ، كانت تعيش فى حقب الحياة الوسطى ، وانقرضت قبل العصر الطباشيرى ، ومعظمها يتميز بضخامته وأشكاله المخيفة ، ويبلغ طول بعضها مايقرب من سبعة وعشرين مترًا .

بقى لحظات منحنيًا نحوها ، يحدق فى عينيها بصرامة ، قبل أن يعتدل ، قائلًا :

ـ إذن فجميعكم هكذا ، وليس هو وحده ..

تسلل القلق إلى نفسها ، وهى تقول :

ـ هو من ؟

تطلع إليها متفرسًا ، وهو يقول :

ـ (أدهم) .. زميلك (أدهم صبرى) .

لم تخطىء عينه الواحدة ذلك الاضطراب البسيط ، الذى ظهر فى ملامحها ، ثم تلاشى فى سرعة ، فابتسم ابتسامة ظافرة شرسة ، وهو يقول :

ـ إنه حى .. أليس كذلك ؟

أشاحت بوجهها لتخفى انفعالها ، وهى تقول :

ـ لقد جننت حتمًا .. (أدهم صبرى) لقى مصرعه ، منذ مايقرب من عام ونصف العام .

لوح بكفه بحركة مسرحية ، وقال :

ـ هذا مايتصوره الجميع ، وما نجحت مخابراتكم فى إقناع كل أجهزة المخابرات الأخرى به ، ولكن الحقيقة تختلف تمامًا يا عزيزتى ، فرجلكم (أدهم صبرى) لم يمت .. إنه حى ، ويعمل لحسابكم أيضًا .

سيطرت على اضطرابها ، واستدارت بوجهها إليه ، وقالت ساخرة :

- إذن فقد أصابتك عقدة (أدهم صبرى) .. يالك من أحمق ! إنك ترتجف منه ، حتى بعد أن غادر هذا العالم .

صرخ فى غضب :

- خطأ .. إنه لم يمت بعد .

ثم مال نحوها بحركة حادة عنيفة ، جعلتها تتراجع برأسها فى سرعة ، وهو يتابع فى حدة عصبية :

- ألا تعلمين ما فعله زميلك ، منذ ساعة واحدة ؟.. لقد اقتحم قسم الشرطة بسيارته ، وأطلق رصاصات مسدسه داخله ، وفجّر قنبلة دخان ، وحطم أنف شرطى هناك ، وبعدها هاجم المفتش (لويز) فى منزله ، وهشم يده ، وأحال وجهه إلى لوحة بشعة مخيفة .. من فى رأيك يمكنه أن يفعل هذا سواه ؟

قالت ساخرة :

- كل رجال العمليات الخارجية لدينا يمكنهم هذا ، وأنتم خير من يثق فى صحة قولى .. أليس كذلك ؟

تراجع محدقًا فى وجهها لحظة ، ثم قال :

- على أية حال .. سينكشف كل شىء هذه الليلة .

حاولت أن تخفى قلقها فى أعماقها ، وتتجاهل عبارته ، ولكنه تابع بلهجة استفزازية :

- لو أن زميلك هذا هو (أدهم صبرى) نفسه ، فهو لن يتركك بين أيدينا ، بل سيسعى لتخليصك من هنا بأى ثمن .

قالت ساخرة :

- ولو أن زميلى هذا هو (أدهم صبرى) ، فالأفضل لك أن تتقدم باستقالتك ، وتنتحل شخصية جديدة ، وترحل إلى (آلاسكا) أو حتى القطب الجنوبى ، قبل أن يلحق بك ، ويجعلك تندم على اللحظة التى رأيته فيها .

بدا الغضب على وجهه لحظة ، ثم اعتدل قائلاً :

- دعيه يحاول ذلك ، فقد أعددنا العدة لاستقباله ، عندما يدفعه غروره وغباؤه إلى اقتحام سفارتنا للمرة الثانية .. صحيح أنه سيجد كل شىء أمامه هادئًا ، ولكن الجحيم ينتظره فى الداخل .

وقهقه ضاحكًا فى عصبية ، مستطردًا :

- الجحيم الحقيقى .

ومع ضحكته الساخرة العالية ، ارتجف قلب (منى) .. ارتجف فى قوة ..

* * *

اختفى حراس أمن السفارة الإسرائيلية خلف أشجار الحديقة ، يراقبون أسوارها من كل جانب ، وسط صمت وظلام سادا المكان ، وتململ أحدهم بعد مرور ساعة كاملة على وقوفه فى مكمنه هذا ، وهمس لزميله فى ضجر متوتر محنق :

- أتصدق أن ذلك الرجل سيأتى بالفعل .

أجابه زميله بهمس مماثل :

- مادام السيد السفير يقول هذا ، فهو سيأتى حتمًا

قال الرجل فى سخط :

ـ متى ؟.. إننا ننتظر منذ ساعة كاملة .

أجابه زميله فى صرامة :

ـ سيادة السفير لم يحدد موعدًا .

همهم زميله :

ـ نعم .. أعلم هذا .

ثم ارتفع صوته بعض الشىء ، وهو يستطرد :

ـ أتراهن أنه لن يأتى ؛

سطع فجأة ذلك الضوء فى وجهيهما ، والتقطت عيونهما مشهد تلك السيارة ، التى تندفع بأقصى سرعتها نحو البوّابة المعدنية للسفارة ، فهتف الأوّل ، وهو يختطف مدفعه الآلى ، ويعدو نحو البوّابة :

ـ تخسر الرهان يارجل .

وبكل سرعتها وقوتها ، انقضّت السيارة على بوّابة السفارة ، وارتطمت بها بصوت مزعج عنيف ، فاندفع حرّاس السفارة نحوها من كل صوب ، وارتفعت فوهات مدافعهم الآلية نحو الشخص الجالس خلف عجلة قيادتها ..

وانهمرت الرصاصات كالمطر ..

وفى القبو ، سمعت (منى) دوى الرصاصات ، عبر جهاز اتصال صغير ، يمسك به (دان) ، فارتجف قلبها فى قوة ، فى حين هتف (ليفى) :

ـ باللأغبياء !.. لاينبغى أن يقتلوه

هتف (دان) عبر جهاز الاتصال :

ـ لاتقتلوه .

أتاه صوت أحدهم ، عبر الجهاز :

ـ فات الوقت ياسيدى .. لقد أطلقنا عليه كل رصاصاتنا بالفعل .

شهقت (منى) فى ارتياع ..

مستحيل !..

مستحيل أن يكونوا قد فعلوا !!

مستحيل أن يكونوا قد قتلوا (أدهم صبرى) حقًا ..

ارتجف قلبها بين ضلوعها فى مرارة ، وتفجّرت من عينيها الدموع غزيرة ، فتألّقت عين (ليفى) فى ظفر وشماتة ، واختطف جهاز الاتصال من يد (دان) ، هاتفًا :

ـ أأنت واثق يارجل ؟.. هل لقى مصرعه بالفعل ؟

أجابه الرجل :

ـ هل رأيت فى حياتك كلها شخصًا يتلقى أكثر من مائة رصاصة ، فى كل أجزاء جسده ، ويبقى على قيد الحياة ؟

أطلق (ليفى) صرخة قصيرة ، ثم التفت إلى (منى) ، التى أغرقت الدموع عينيها ، وهتف فى ظفر جنونى :

ـ الآن فقط يمكننى أن أقولها يا عزيزتى .. لقد لقى رجلكم مصرعه ، عند أبواب سفارتنا .. انتهى رجلكم .. انتهى تمامًا .

وانهارت (منى) تماما ، وهى تصرخ فى أعماقها ..
نعم .. انتهى الرجل .
رجل المستحيل .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى

(قبضة السفاح)